

الدافع الاقتصادي للاستشراق ... دراسة تحليلية.

إعداد

محمد علي إبراهيم محمود حمد

مدرس الدعوة والثقافة

بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا.

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٣م .





الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ... دراسة تحليلية .

محمد علي إبراهيم محمود .

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ، كلية أصول الدين بطنطا ، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: MohamedAli.el.66@azhar.edu.eg

الملخص:

قام الاستشراق على عدة دوافع دعت إلى ظهوره ونشوءه ، ومثلت تلك الدوافع عاملا قويا في ظهوره ، وكان من أهم تلك الدوافع : الدافع الاقتصادي ، هذا الدافع الذي انشغل به كثير من المستشرقين ، فحصلوا من خلاله أموالا وأرباحا كبيرة ، أخذت مظاهر متعددة ، وفي الوقت نفسه خرجت به عن دائرة البحث العلمي ونزاهته ، وفضلا عن تلك المظاهر كانت هناك أنواعا كثيرة لهذا الدافع الاقتصادي ، كالدافع الاقتصادي الزراعي والتجاري والصناعي ، واالدافع الفردي والجماعي ، وأخيرا تلك الآثار المترتبة على هذا الدافع لدى المستشرقين . وقد تكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث : المبحث الأول : بواعث قيام الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، والمبحث الثاني: أنواع الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، والمبحث الثالث: مظاهر الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، والمبحث الرابع: الآثار المترتبة على الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، وخاتمة: فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المنهج: اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي (– التحليلي – الوصفي – التاريخي أو الاستردادي).



النتائج: عدم اتفاق الدافع الاقتصادي مع البحث العلمي ومنهجيته المدعاة من قبل المستشرقين ، وكذا وضوح أن الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين لم يكن وليد اليوم ولا حديث الساعة ، بل يضرب جذورا في القدم ، فضلا عن كون هذا الدافع له أنواع كثيرة متعددة ، حيث المجال الزراعي والتجاري والصناعي بما يمثل موارد الاقتصاد ، ثم تقرير أن المستشرقين نحو مناحي كثيرة نحو هذا الدافع ، بما يمثل مظاهر كثيرة ، حيث تجارة المخطوطات وسرقتها ونهب الثروات ...الخ ، وأخيرا التدليل على أن المستشرقين لم يكونوا على وتيرة واحدة ، بل كانوا أنواعا من حيث قوة الدافع وضعفه ، وظهوره وخفائه ....الخ.

التوصيات: ضرورة الاهتمام بالتوسع في دراسة الاستشراق عموما وهذا الدافع الاقتصادي على وجه الخصوص ، للأجيال والطلاب حتى يمكن الوقوف عليه بشكل أوضح وأكثر فهما ، مع ضرورة عقد المؤتمرات الإسلامية التي تبين هذا وتفصح عنه .

الكلمات المفتاحية: الاستشراق ، الدافع ، الاقتصاد ، المستشرقون ، التجارة .

The economic motivation of Orientalism ... Analytical study.

Muhammad Ali Ibrahim Mahmoud .

Department of Da'wah and Islamic Culture، Faculty of Fundamentals of

Email : Religion، Tanta، Al-Azhar University، Egypt

. MohamedAli.el.66@azhar.edu.eg

Abstract :

Orientalism was based on several motives called for its emergence and emergence، and those motives represented a strong factor in its emergence، and the most important of those motives was: economic motive، this motive that preoccupied many orientalists، through which they got money and large profits، took multiple manifestations، and at the same time out of the circle of scientific research and integrity، as well as those manifestations there were many types of this economic motive، Such as the agricultural، commercial and industrial economic motive، the individual and collective motivation، and finally the effects of this motivation among orientalists. The research has consisted of an introduction، and four sections: the first topic: the motives of the economic motive of Orientalism، the second topic: types of



economic motivation for Orientalism، the third topic: manifestations of economic motivation for Orientalism، and the fourth topic: the effects of the economic motivation of Orientalism، and conclusion: the most important findings of this research of the results، some proposals، the most important sources and references، and the index of topics.

Methodology: In this research، the integrative approach was followed (- analytical - descriptive - historical or retrieval).

Results: The incompatibility of the economic motive with scientific research and its methodology claimed by orientalists، as well as the clarity that the economic motive of orientalists was not born today nor the talk of the hour، but rather hits roots in the old، as well as the fact that this motive has many types of multiple، where the agricultural، commercial and industrial field represents the resources of the economy، and then decide that orientalists towards many walks towards this motive، Which represents many manifestations، where the trade of manuscripts، theft and looting of wealth ... etc.، and finally demonstrate that orientalists were not at the same pace، but were types in terms of the strength and



weakness of motivation، and its emergence and invisibility.... Etc.

Recommendations: The need to pay attention to the expansion of the study of Orientalism in general and this economic motive in particular، for generations and students so that it can be identified more clearly and understandably، with the need to hold Islamic conferences that show and reveal this.

Keywords: Orientalism، motivation، economics، orientalists، trade.



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي جعل الإسلام دينا قويما ، وأنزل كتابه صراطا مستقيما ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل الحق نورا مبينا ، وجعل طريق الباطل مدلهما عقيما ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله ربه هاديا ونذيرا ، وأيده بكل دليل وجعله بينا عميما ، وأقام المحجة على خلقه بما أبان لهم من الحق ، وجعل الطريق إليه سبيلا منيرا ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد .

فلا ريب في أن للفكر الاستشراقي آثارا واضحة على جميع المستويات: الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والفكرية ، والتعليمية ...الخ ، فيما يتعلق بالنظم الإسلامية على مختلف تنوعها ، وتعدد مشاربها ، واختلاف مواردها ، مما يضفي حالة من الشمولية التي تناولها هذا الفكر لتلك النظم ، سواء أكانت أثارا سلبية – وهو الأغلب – ، أم كانت آثارا إيجابية – وهو الأقل القليل .

إن الحركة الاستشراقية ما فتئت تحارب الإسلام بكل سبيل أوتيت إياه ، فعقدت المؤتمرات ، وألفت الكتب ، وأرسلت البعثات ، وأنشأت الكراسي المختلفة ، وألقت بالشبهات على الفكر الإسلامي ، ونوعت من حركة تلك الشبهات بما طال كثيرا من الأمور العقدية والتشريعية والأخلاقية والتاريخية والفكرية مما يتعلق بالإسلام الحنيف ، فجاءت في كل ذلك متنوعة الأثر ، متعددة التأثير ، مختلفة بين القوة والضعف ، تنبئ في كل



هذا عن حركة أيدولوجية استشراقية تغاير تماما منهج الإسلام في كل ما يتعلق به : فكره ، ونظمه ، وتشريعاته ، وأخلاقه ...الخ.

وكما أن التنوع والتعدد قد شاب تلك الحركة الاستشراقية في آثارها وما خلفته ورائها ، فإنه كان للعوامل والدوافع التي دفعت تلك الحركة للنشوء والظهور تنوع هو الآخر ، وتعدد خرج به من بوتقة الحكم الواحد عليه ، إلى أحكام متعددة ، ودوافع شتى ، تتأبى تلك الدوافع أن يحكم على الاستشراق بحكم واحد ، أو مقصد متحد ، أو وصفه بدافع معين دون ما سواه ، فجاءت تلك الدوافع ما بين : دينية ، وعلمية ، واقتصادية ، وتجارية ...الخ.

ومن تلك الدوافع التي كانت بادية – وبقوة – في المجال الاستشراقي: الدافع الاقتصادي ، والذي يعطي دلالات واضحة ، تحمل مضامين قاطعة ، بأن الاستشراق كله لم يكن علميا خالصا ، أو دينيا صافيا ، بل شابته كثير من العوامل والمظاهر الاقتصادية والمالية والتجارية في تاريخ مسيرتها وتطور حركتها .

وإذا كانت دوافع ظهور الاستشراق متنوعة ومتعددة ، فلم يكن الدافع الاقتصادي له أفضل حالا من تلك الدوافع ، بل كان متنوعا هو الآخر ، قد حوى كثيرا من المظاهر ، وشمل عديدا من عوامل قيامه ، وانضوى تحت لوائه آثار سلبية أثرت وبقوة على الاقتصاد الإسلامي : في مجاله النظري (عن طريق الشبهات) ، وفي مجاله التطبيقي (نهب الثروات وتجارة المخطوطات ...الخ) .

ومن هنا جاءت تلك الدراسة لتكشف هذا كله ، ولتبين كيف أن الدافع الاقتصادي للاستشراق لم يأخذ صورة واحدة ، ولا نمطا معينا ، كما تصوره كثير من المؤلفات ، وفي الوقت ذاته تتطرق الدراسة إلى بيان مظاهر هذا الدافع ، وكذا العوامل التي ساعدت على قيامه ، فضلا عن بيان العلاقة



بين الاقتصاد الإسلامي والاستشراق ، وكيف تناوله المستشرقون ؟ وما هي الآثار المترتبة على ذلك كله ؟.

فإن وفقت في هذا فمن الله تعالى وحده ، فله كامل الحمد ، وعظيم الشكر ، ووافر الامتنان ، وجزيل الإحسان ، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان ، وحسبي أنني بشر ، أخطئ كما يخطئ البشر.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعت إلى دراسة هذا الموضوع عدة أسباب ، عملت على تقوية الرغبة في البحث فيه ومحاولة استقصاء بعض جوانبه ، ومن ذلك ما يلي :

١- المساهمة في اللحاق بركب من كتب في الدفاع عن الإسلام ونظمه وتشريعاته وأخلاقه ..الخ ، ومحاولة نيل الأجر من الله تعالى في هذا ، أسأله سبحانه وتعالى أن يمتن علينا بذلك .

٢- تقوية الدليل القاطع بأن دوافع المستشرقين لم تكن علمية خالصة ، تتبع البحث العلمي في موازينه ومناهجه ، بل كانت حركة مغرضة خرجت من حيز العلم إلى مآرب المال والتجارة .

٣- محاولة ربط ماضي الاستشراق في كونه قد نبع من هذا الدافع — من ضمن ما نبع منه – بحاضره الكائن والقائم على نفس الدافع بل بزيادة وتقدم وتطور فيه .

٤- محاولة كشف خبايا بعض ما استتر في هذا الدافع ، من محاولات متكررة من المستشرقين لضرب الاقتصاد الإسلامي ، وعرقلة تقدمه ، وإلقاء الشبهات عليه ، وتسليط الضوء على ذلك كله ، ثم بيان ما يجب تجاه كل هذا ، حيث واجب المسلمين للتصدي لمثل هذه الأشياء.



٥- بيان أن الدافع الاقتصادي مازال مستمرا ، وأنه لم ينقطع ولم يحدث التوقف عنه ، وإقامة الأدلة على هذا كله ، من مصادر المستشرقين وكتبهم وغيرهم أيضا .

أهمية الدراسة :

تنبع عدة أمور ماثلة في هذا الموضوع ، جعلت من الدراسة فيه ذات أهمية واضحة ،ومن ذلك :

١- إذا كان الاقتصاد يمثل ركنا مهما وعاملا قويا في تقدم الأمم ورقي الشعوب وتحضر المدن والقرى ، فإن نفس الأهمية تكمن فيما يزعزع حركة هذا الاقتصاد ويخلخل دعائمه ويعمل على تقويض أركانه ، ومن هنا تكمن أهمية هذا الموضوع في تسليط الضوء على ما يعكر صفو اقتصاد الإسلام والمسلمين ، ثم بيان ما يجب نحو هذا كله .

٢- تمثل هذه الدراسة وما شابهها تقويضا لبعض دعائم وأسس الاستشراق ، حيث ادعاء المصداقية ، وتبني الشفافية من قبل المستشرقين ، وهذه الدراسة تبين غير ما رامت إليه تلك الحركة ، وتقيم الأدلة المتنوعة على ذلك .

٣- إنه ليس بخاف إطلاقا مدى تأثر البعض من المسلمين بحركتي الاستشراق والتغريب ، وكيف أن البعض منهم قد تأثر في كتاباته ومنهجه وأيديولوجياته بنحو ذلك ، وكان من الأمور التي حدث فيها التأثير الجانب الاقتصادي في النظم الإسلامية ، فتأتي أهمية تلك الدراسة في بيان مآرب هذا الدافع لدى المستشرقين ؛ كخطوة على طريق التصحيح وتقويم المعوج وبيان الحق ، ثم ضربا لدعائم ما تمسك به مثل هؤلاء فيما راموا إليه .

الهدف من البحث :



تهدف تلك الدراسة إلى استقصاء بعض جوانب نظرة المستشرقين إلى الاقتصاد الإسلامي في قسميه : النظري والعملي ، وبيان كيف أن تلك النظرة قد انطوت على كثير من مآرب دخيلة على المنهج العلمي فشابت حركته وعطلت مسيرته ، ثم بيان أن هذا الدافع قد حوى صورا متعددة ، وأنماطا مختلفة ، ومظاهر كثيرة ، مما يدل على سعتها وتمددها وتغلغلها في الحياة الإسلامية ، وأخيرا استخلاص الآثار والنتائج التي ترتبت على هذا الدافع المتعلق بالاقتصاد للإسلام والمسلمين ، وكيفية معالجتها .

الجديد في تلك الدراسة :

رغم تلك الكتابات المتعددة ، والمؤلفات المتنوعة ، والمصادر الكثيرة ، والمراجع الواسعة التي تناولت الظاهرة الاستشراقية من جميع جوانبها ، فتناولتها بالتحليل تارة ، وبالرصد تارة ثانية ، وبالنقد تارة ثالثة ، إلا أن ثمة أمورا في تلك الدراسة يزعم الباحث أنها ماثلة – بفضل الله تعالى وحده – في تلك الدراسة ، تمثل جديدا فيها أوما يشابه الجديد ، ولا يعني هذا أبدا التقليل من تلك الدراسات المتقدمة في هذا الباب ، فمنها الاستفادة ، وعليها التعويل ، وبها الاستدلال ، ومنها الانطلاق ، وإليها الرجوع إن شاء الله تعالى .

ومن هذه الأمور التي تضفي جديدا على تلك الدراسة ما يلي :

١- جمع المادة العلمية المتعلقة بهذا الدافع في دراسة مستقلة ، وليس متشابكا أو متداخلا مع دوافع أخرى ، مما يراه الباحث في كثير من الدراسات المعنية بذلك ، مما يضفي على الدراسة حالة من الجدة في التناول وعمق الفكرة إن شاء الله تعالى وتوفيقه .



٢- الانطلاق من تقرير هذا الدافع من كتب ومؤلفات المستشرقين أنفسهم ، وإقامة الأدلة على ذلك من واقع مصادرهم ، في حين أن كثيرا من الكتب التي تناولت هذا الدافع تنحو نحو القلة في ذكر مصادر القوم مما يتعلق به ، ولا تذكر هذا الدافع إلا استرسالا أو استئناسا فقط.

٣- تقسيم الدراسة في هذا البحث على تشعب وتنوع موارد مجالات الاقتصاد التي تناولها المستشرقون بالبحث والتحليل ، وهي : المجال الزراعي ، والمجال التجاري ، والمجال الصناعي ، في حين أن كثيرا من الدراسات الأخرى – التي تحت يدي الباحث – تذكر الدافع الاقتصادي ، ثم تتطرق إلى إحدى تلك المجالات فقط ، دون ذكر بقية المجالات الأخرى .

٤- تنزيل الدافع الاقتصادي للمستشرقين على نوعين يحويان هذا الدافع ، وهما : دافع اقتصادي فردي ، وآخر اقتصادي جماعي ، وإقامة الأدلة على نحو ذلك كله ، وهذا إن كان باديا في بعض الدراسات ، إلا أن تناول الدراسة لهذا سيكون أكثر اتساعا بإذن الله تعالى .

٥- لم يقف الباحث فيما لديه من مصادر ومراجع في هذا الباب ، تبين المقومات والعوامل التي عملت على ظهور هذا الدافع وتطوره وتنوع أشكاله ، فهي بمثابة دوافع عملت على ظهور دافع أقوى ، وعوامل دفعت إلى ظهور عامل أوضح ، ومهمة تلك الدراسة جمع شتات هذا كله من مظانه ، وتنسيقه ، وتقريره ، وإقامة الاستدلال عليه .

٦- بيان المظاهر المتعددة المرتبطة بهذا الدافع كدليل على الدراسة ، وتوسع القول بها ، وبيان تنوعها ، وربط هذا كله بالمجال النظري والعملي فيما يرتبط بنظرة المستشرقين للاقتصاد الإسلامي .

هذا ، ولا يعني هذا كله ادعاء العلم ، أو كثرة المعرفة ، أو الوصول إلى ما لم يصل إليه الغير، معاذ الله تعالى ، فما الباحث إلا طالب علم ، يرتسم



طريق علمائنا وأستاذتنا ومشايخنا ، ويرشف من عبير نسيمهم وفيض علمهم، لكن هذا كله توسعة للمدروس ، وتقرير للمطلوب ، وتنويع للمراد ، وتنسيق للمتراكم ، وتجديد عهد بما سبق ، وتذكير بما قد نسي ، واستخلاص أمور ، وتنويه إلى بعض منها إن شاء الله تعالى .

منهجي في البحث:

اعتمد الباحث في تلك الدراسة عدة مناهج ، كان لابد من التقيد بها والسير في فلكها ، ومن ذلك ما يلي :

١- المنهج التحليلي : وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة : تفكيكا أو تركيبا أو تقويما .

٢- المنهج الوصفي : والذي يعني : دليل علمي يهدي إلى القضايا ، أو الموضوعات ، أو المصطلحات ، أو الإشكالات العلمية ، فيصفها كما أو كيفا ، أو هما معا ، بطريقة منهجية ، دون أن يبدي رأيا تعليليا أو تفسيريا لوضعها وطبيعتها)([1]).

٣- المنهج التاريخي أو الاستردادي : وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي ، تبعا لما تركه من آثار ، أيا كان نوع هذه الآثار)([2]).

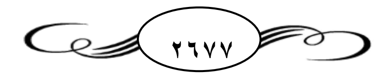
كما لا غني لي عن بقية المناهج الأخرى أثناء الدراسة ، متى دعت الحاجة إليها والتقيد بها .

---

[1]) ينظر : أبجديات البحث في العلوم الشرعية – محاولة في التأصيل المنهجي ، د / فريد الأنصاري ، ص٦٦ ، ٩٦ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م . الطبعة الأولى .

[2]) مناهج البحث العلمي ، د / عبد الرحمن بدوي ، ص١٩ ، الكويت ، وكالة المطبوعات ١٩٧٧م . الطبعة الثالثة .





تقسيم الدراسة :

تأتي هذه الدراسة في مقدمة منهجية ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، وخاتمة .

فأما المقدمة فينت فيها : أسباب اختيار الموضوع – أهمية الدراسة – الهدف من البحث –
الجديد في تلك الدراسة – منهجي في البحث – تقسيم الدراسة .

وأما التمهيد ففيه :

أولا : التعريف بمفردات عنوان البحث .

ثانيا : بيان خطورة الدافع الاقتصادي للاستشراق .

وأما المباحث فهي على النحو التالي بإذن الله تعالى وحده :

المبحث الأول : بواعث قيام الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : بواعث تتعلق بالأسواق التجارية .

المطلب الثاني : بواعث تتعلق بالهيمنة الغربية على بلاد الشرق.

المطلب الثالث : بواعث تتعلق بإقرار النظم الاقتصادية الغربية ، ومحاولة القضاء على الاقتصاد الإسلامي.

المبحث الثاني : أنواع الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول : دافع اقتصادي من حيث الموارد الاقتصادية .

المطلب الثاني : دافع اقتصادي من حيث كونه فرديا أو جماعيا .

المبحث الثالث : مظاهر الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مظاهر تتعلق بالآثار والمخطوطات الشرقية .



المطلب الثاني : قيام الدراسات وجمع المعلومات عن الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الثالث : البعثات التجارية وارتباط المستشرقين بالمؤسسات التجارية.

المبحث الرابع : آثار الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : آثار تتعلق بالإنتاج والاقتصاد الإسلامي من حيث التدهور وعدمه.

المطلب الثاني : آثار تتعلق بالبعد غير العلمي واللاخلاقي.

وأما الخاتمة ، فبها النتائج والتوصيات ، ثم تليها المصادر والمراجع ، ثم الفهرس .

وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين .

التمهيد :

أولا : التعريف بمفردات عنوان البحث .

ثانيا : بيان خطورة الدافع الاقتصادي للاستشراق .

وبعد هذا الإجمال ، يكون التفصيل بمشيئة الله تعالى على النحو التالي :

أولا : التعريف بمفردات عنوان البحث .

لا مرية في أن كل دراسة قائمة على توضيح الأطر اللفظية ، ومن ثم المعنوية ، توضيحا يبين مضامينها ، ويفصح عن دلالاتها ، ويضع التصور الصحيح لحدودها ، تكون أشد بيانا ، وأفصح دلالة ، وأوضح عبارة ، هذا بخلاف ما لم تبن تلك الأطر وهذه المضامين والدلالات ، فسينشأ بلا شك تخبط وعشوائية واضحان ، وتضيع المعالم اللفظية ومن ثم المعنوية ، في التحديد الشكلي والمعنوي للفظة المرادة ، ومن هنا كان لابد من بيان ما اشتمل عليه عنوان هذا البحث ، من ألفاظ تحمل أطرا لفظية يما تتضمنه من دلالات ومعان لابد من الإفصاح عنها ، وبيان كنهها ؛ حتى يستقيم اللفظ ، ويتحقق المراد ، ويتم القطع بالمطلوب بإذن الله تعالى وفضله.

وقد اشتمل عنوان هذه الدراسة على عدة ألفاظ ومصطلحات ماثلة فيه، وهي :

١- الدافع.　　٢- الاقتصادي.　　٣- لدى .

٤- الاستشراق.　　٤- دراسة .　　٦- تحليلية .



وبيانها جميعا على النحو التالي بفضل الله تعالى :

أولا : مصطلح (الدافع) :

تأتي لفظة (الدافع) اسم فاعل من الفعل الماضي (دفع) ، والذي يأتي في اللغة العربية ليعطي عدة دلالات ، تدور حول نتحية الشيء وإبعاده، فضلا عن الحث على فعل الشيء وكونه وازعا لفعله .

ففي مختار الصحاح (([دفع] دفعت إلى فلان شيئا . ودفعت الرجل فاندفع. واندفع الفرس، أي أسرع في سيره، واندفعوا في الحديث. والمدافعة: المماطلة. ودافع عنه ودفع بمعنى. تقول منه: دافع الله عنك السوء دفاعا. واستدفعت الله الأسواء، أي طلبت منه أن يدفعها عني. وتدافع القوم، أي دفع بعضهم بعضا...)([1]).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة ((دفع/ دفع عن يدفع، دفعا، فهو دافع، والمفعول مدفوع

• دفع الشيء: نحاه وأبعده ورده "دفع المركب: نحاه وأبعده عن الشاطئ- {ادفع بالتي هي أحسن}: ادفع السيئة بالحسنة".

• دفع الحجة: ردها بالدليل وأبطلها "دفع القول: رده وأبطله بالحجة- دفع التهمة عن نفسه- {للكافرين ليس له دافع} ".

• دفع الشيء إلى صاحبه: رده إليه، أعطاه إياه " {فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم} ".

• اندفع على فلان: انقض عليه.

---

[1]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج٣ ، ص١٢٠٨ . دار العلم للملايين – بيروت . ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م. الطبعة الرابعة .



• اندفع في الأمر: مضى فيه "اندفع في مشروعه غير مبال بالمصاعب".

• اندفع في الحديث: أفاض فيه وتوسع.

دافع [مفرد]: ج دوافع (لغير العاقل):

١ – اسم فاعل من دفع/ دفع عن.

٢ – حافز وسبب، أمر موجب "ما الدوافع وراء ارتكاب هذه الجريمة؟ " °

بدافع كذا: بسببه.

٣ – (نف) ([١]) ما يحمل على الفعل من غرائز وميول فهو وجداني، ولا شعوري في حين أن الباعث عقلي وشعوري.([٢]).

من خلال ما سبق ، يتضح عدة أمور في بيان المراد من الفعل (دفع)، وهي :

أ– يتضح من سياق النصوص السابقة أن هذا الفعل يتعلق بالأمور الحسية، كقوله : اندفع على فلان: انقض عليه. وفي الأمور المعنوية أيضا ، كالحافز والسبب لفعل شيء. مما يدل على شموليته وتعلقه بالأمرين معا.

ب– تدور تلك اللفظة (دفع) ، والذي يأتي منها اسم الفاعل (دافع) حول: الإسراع في المشي ، والإفاضة والتوسع في الحديث ، المضي في الأمر ، رد الشيء إلى صاحبه ، كون الشيء حافزا لفعل أمر ، الميول والأهواء والنزوع .

---

[١]) إشارة إلى علم النفس ، وهو اختصار للفظة (نفس) .

[٢]) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر **وآخرون** ، ج١ ، ص٧٥٢ : ٧٥٤ . مطبوعات عالم الكتب ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م . الطبعة الأولى . باختصار .



ج- لا شك أن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد ويقطع بالمطلوب دون ما سواه ، فمع اختلاف المعاني وتعددها من تلك اللفظة ، إلا أن السياق هو الذي يحدد المراد .

ج- الانتخاب الدلالي لتلك المعاني فيما يتعلق بهذا البحث ، يقتضي تحديدا يتفق وطبيعة البحث ، وهو عين ما ذكره معجم اللغة العربية المعاصرة ، من كون الدافع يدل على (حافز وسبب – ما يحمل على الفعل من غرائز وميول) .

ثانيا : لفظة (الاقتصادي) :

تأتي لفظة (اقتصادي) – والماثلة في عنوان هذا البحث – نسبة إلى مصطلح الاقتصاد ، والذي يأتي مصدرا من الفعل (قصد) ، والذي بدوره له عدة معان متعددة ، ومنها : إتيان الشيء ، والعزم على فعله ، ووالركون نحوه ،واستقامة الطريق ، فضلا عن التوسط بين الإفراط والتفريط.

ففي لسان العرب (قصد: القصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدا، فهو قاصد. وقوله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل) ؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها جائر أي ومنها طريق غير قاصد. وطريق قاصد: سهل مستقيم. وسفر قاصد: سهل قريب. وفي التنزيل العزيز (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ......)(سورة التوبة ، جزء من الآية ٤٢) . القصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة: أن لا يسرف

ولا يقتر. يقال: فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد. واقتصد فلان في أمره أي استقام. وقوله: ومنهم مقتصد والقصد: العدل([1]).

وفي المعجم الوسيط ((قصد) الطريق قصدا : استقام . والشاعر : أنشأ القصائد . وله وإليه : توجه إليه عامدا . ويقال : قصده وفي الأمر: توسط لم يفرط ولم يفرط . وفي الحكم : عدل ولم يمل ناحية . وفي النفقة لم يسرف ولم يقتر . وفي مشيه : اعتدل فيه . والشيء : قطعه قصدا...

(اقتصد) في أمره فلم يفرط ولم يفرط . ويقال : اقتصد في النفقة : لم يسرف ولم يقتر . وفلان : كان غير نحيف وغير جسيم . والشاعر : واصل عمل القصائد فهو مقتصد([2]).

ومن خلال هذا يتضح أن مادة (قصد) تأتي لتعطي دلالات متعددة ومتنوعة ، وأنها تدور حول : إتيان الشيء وأمه ، والعزم على فعل الشيء بتعمد ، وكذا التوجه نحو الشيء ، فضلا عن معنى التوسط والاعتدال ، والخروج من دائرتي الإراط والتفريط .

ولاشك أن المقصود في هذا البحث هو ما كان مرتبطا بالمعاني الأخيرة الآنفة الذكر ، نحو التوسط في النفقة ، والاعتدال في الإسراف ، ومجافاة الإفراط والتفريط .

والذي يبدو للباحث أيضا ، أن تلك الأمور قد يجتمع أكثر من معنى لها في سياق واحد ، كمن رام التوسط في الإنفاق ، فهو قد قصد أن يفعل

---

[1]) لسان العرب ، جمال الدين بن منظور ، ج٣ ، ص٣٥٣ ، ٣٤٣ . دار صادر ، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م . الطبعة الثالثة . باختصار شديد .

[2]) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج٢ ، ص٧٣٨ . دار الدعوة ، مصر ، بدون تارريخ ولا رقم طبع . باختصار .



هذا وعزم عليه ، ثم يحقق هذا في صورة الاقتصاد في النفقة ، بأن يعتدل فيها ولا يسرف ولا يقتر ، ثم يستقيم على هذا ولا يحيد عنه ، فاجتمع بذلك أكثر من معنى في سياق واحد .

الاقتصاد في الاصطلاح :

أما تعريف مصطلح (الاقتصاد) في الاصطلاح ، فله تعريفات كثيرة هوة الآخر ؛ نظرا لتعدد نظرة الاقتصاديين إليه ، وكثرة النظريات المتعلقة به ، فضلا عن تطور هذا العلم من القديم إلى الحديث ، بما يعني تجدده وتجدد نظرياته ، بما يقرر عدم ثبات النظرة إليه .

ومن التعريفات التي عرف بها هذا المصطلح كونه (العلم الذي يبحث في حل المشكلة الاقتصادية حلا أمثل ، في ظل ظروف المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية)([1]).

ثم يأتي تصوير المشكلة في أنه (تتمثل المشكلة الاقتصادية في أن حاجات السكان متزايدة بتزايد السكان ، متطورة بتطور المجتمع ، في حين أن المواد اللازمة للإشباع تتسم بالندرة النسبية)([2]).

هذا ، والذي يبدو للباحث أنه ما كان لهذا التعريف لمصطلح الاقتصاد أن ينحصر فقط في تحديد المشكلات الاقتصادية ، دون غيرها من المسائل الكثيرة المتعلقة بهذا العلم ، نحو زيادة الدخل ، وكثرة الانتاج...الخ ، ولم تم افتراض أنه قد حلت جميع المشكلات الاقتصادية ، هل حينئذ ليس ثمة علم اقتصاد ؟!.

على أن (الموسوعة العربية) – والتي تم اقتباس التعريف منها – عادت فشرحت الأمر أكثر ، حين أومأت إلى أنه (ينقسم التحليل الاقتصادي إلى قسمين كبيرين : الأول : التحليل الكلي أو الاقتصاد الكلي،

---

[1]) الموسوعة العربية المعاصرة ، مجموعة مؤلفين ، ص٣٤٨ . مكتبة صيدا ، بيروت ١٤٣٤هـ – ٢٠٠٩م . الطبعة الثالثة .

[2]) نفس المرجع ونفس الصفحة .



ويهتم بدراسة المتغيرات الكلية في الاقتصاد ، مثل : الدخل المحلي والقومي، والاستثمار الكلي ، وحجم السيولة النقدية في المجتمع ، والصادرات والواردات ، ومستوى التوظيف ، ومستوى الأسعار .

الثاني : التحليل الجزئي أو الاقتصاد الجزئي ، ويهتم بالحالات الفردية ، مثل : المستهلك الفرد ، وكيف يشبع حاجاته ، والمنتج الفرد وكيف يحقق أهدافه في الربح ، وكيف تتحدد الأثمان في السوق بتفاعل الطلب)([1]).

ويمكن اعتبار هذين القسمين داخلين في مكونات علم الاقتصاد ، على أنه كان ينبغي تضمين ذلك في التعريف ، حيث أن من شروطه : أن يكون جامعا مانعا كما هو معروف .

موقع الدافع الاقتصادي للمستشرقين من هذا التعريف :

إذا كان التحليل السابق لقسمي الاقتصاد قد ضمنه بعض مقوماته ، فإن الدافع الاقتصادي للاستشراق والمستشرقين يندرج تحت بعضها بطبيعة الحال ، ولو أمعن القارئ الكريم النظرة مرة أخرى ، فسيجد مقومات كثيرة تتعلق بالقسمين السابقين من ناحية ، وتتعلق بهدف المستشرقين من الاقتصاد من ناحية ثانية ، مثل : الدخل المحلي والقومي ، والاستثمار الكلي ، وهذا ينطبق على دوافع المستشرقين في فتح الأسواق الشرقية ، واستفادة بلدانهم منها ، واستغلال المواد الخام ؛ حتى يمكن زيادة الدخل القومي لتلك البلاد التي ينتمي إليها المستشرقون .

---

[1]) نفسه .



وأيضا مثل : المستهلك الفرد ، وكيف يشبع حاجاته ، والمنتج الفرد وكيف يحقق أهدافه في الربح ، وهذا أيضا يتعلق بالدافع الفردي الاقتصادي للاستشراق ، على نحو : سرقة بعضهم المخطوطات ، ونهب بعض الثروات ، واتخاذ الاستشراق مهنة للتربح وكسب المال ([1]) ، على ما سيأتي تفصيله وبيانه في موضعه ، بإذن الله تعالى وحده وتوفيقه .

ثالثا : لفظة (لدى) :

تأتى لفظة (لدى) الكامنة في عنوان هذا البحث ، لتفيد وتعطي معنى (عند) ، فهي حينئذ ظرف زمان ومكان أيضا ، ففي مختار الصحاح (ل د ى: لدى لغة في لدن قال الله تعالى: {وألفيا سيدها لدى الباب} [يوسف: ٢٥] واتصاله بالمضمرات كاتصال عليك)([2]) .

وجاء في المصباح المنير ((ل د ن) : لدن ولدى ظرفا مكان بمعنى (عند) ، إلا أنهما لا يستعملان إلا في الحاضر، يقال : لدنه مال إذا كان حاضرا . ولديه مال كذلك . وجاءه من لدنا رسول : أي من عندنا . وقد يستعمل لدى في الزمان، وإذا أضيفت إلى مضمر لم تقلب الألف في لغة بني الحارث بن كعب ؛ تسوية بين الظاهر والمضمر ، فيقال : لداه ولداك . وعامة العرب تقلبها ياء ، فتقول : لديك ولديه . كأنهم فرقوا بين

---

[1]) وليس المقصود هنا هل هذا حلال أو حرام ، أو شيء أخلاقي أو غير أخلاقي ؟ ولكن المقصود هو زيادة الدخل والتكسب والربح وجناية المال ، بدون النظر إلى ذلك كله، ودون اعتبار في نظرهم (أي المستشرقين) .

[2]) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق : أ / محمود خاطر ، ص٦١٢ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، بدون رقم طبع.



الظاهر والمضمر ، بأن المضمر لا يستقل بنفسه بل يحتاج إلى ما يتصل به ، فتقلب ليتصل به الضمير ، ولدى اسم جامد لا حظ له في التصريف والاشتقاق ، فأشبه الحرف نحو إليه وإليك وعليه وعليك([1]).

فتلخص من هذا كله أمور :

أ- أن لدى تعطي دلالة وظيفية نحو ما تعطيه (لدن) .

ب- أن (لدى) ظرف ، تستعمل في الزمان والمكان ، وإشارة (المصباح المنير) تعطي دلالة أن استعمالها في المكان أكثر.

ج- أنها تعطي معنى (عند) .

د- أنها اسم جامد.

هـ- مختلف فيها عند إضافتها إلى مضمر ، هل تقلب ألفها المقصور ياء أم لا ، والجمهور على أنها تقلب .

رابعا : لفظة (الاستشراق) :

لفظة الاستشراق بنحو مادتها اللفظية على ما هي عليه ، ودخول السين والتاء عليها ، مادة حديثة غير قديمة ، اللهم إلا ما تعلق منها من مادة (شرق) ، فإنها بلا شك مذكورة في الكتاب والسنة .

يأتي هذا المصطلح مركبا من السين والتاء ، ومادة (شرق) ، والتي تأتي في العربية بمعان متعددة ، ومنها : الضوء ، وطلوع الشمس.

ففي معجم مقاييس اللغة (شرق) الشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح. من ذلك شرقت الشمس، إذا طلعت. وأشرقت، إذا

---

[1]) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ، ج٢ ، ص٥٥٢، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .



أضاءت. والشروق: طلوعها. ويقولون: لا أفعل ذلك ما ذر شارق، أي طلع، يراد بذلك طلوع الشمس. وأيام التشريق سميت بذلك لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها للشمس. وناس يقولون: سميت بذلك لقولهم: " أشرق ثبير، لكيما نغير ". والمشرقان: مشرقا الصيف والشتاء. والشرق: المشرق([1]).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة (شرق [مفرد]: ج شروق (لغير المصدر):

١ - مصدر شرق.

٢ - جهة شروق الشمس، عكسه غرب ° شرقا وغربا: في كل اتجاه.

•الشرق الأدنى: اسم يطلق على مناطق آسيا الغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، شمال تركيا، قبرص، سورية، لبنان، فلسطين، وحتى مصر.

•الشرق الأقصى: اسم يطلق على بلدان آسيا الشرقية، اليابان، كوريا، الصين، فرموزا، الهند، الفلبين، فيتنام، تايلاند، بورما، ماليزيا، أندونسيا.

• الشرق الأوسط: اسم يطلق على بعض مناطق آسيا الجنوبية الغربية، شبه الجزيرة العربية، الأردن، سورية، لبنان، العراق، تركيا، إيران، مصر، السوادن وحتى أفغانستان وباكستان أحيانا.([2]).

ومن هذه النصوص اللغوية يتضح أن مادة (شرق) تدور حول : الضوء ، وفتح الشيء أو المكان ، وشروق الشمس ، وجهة هذا الشروق ،

---

[1]) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ج٣ ، ص٢٦٤ . دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م . بدون رقم الطبع.

[2]) معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج٢ ، ص١١٩٣ .



فضلا عن أن دلالة هذا اللفظ على المكانية تدل على ثلاثة مشارق : الشرق الأدنى ، والشرق الأقصى ، والشرق الأوسط ، وكلها مما يقابل الغرب ، على ما تمت الإشارة إليه آنفا .

تعريف (الاستشراق) في الاصطلاح:

لم يسلم مصطلح الاستشراق هو الآخر من كثرة التعريفات الواردة حوله، نظرا لكثرة الاعتبارات المتعلقة به من ناحية ، وكثرة المنشغلين به ما بين الغربيين والشرقين من ناحية ثانية ، ثم لتعلقه بمآرب ودوافع غير نزيهة في بعضها من ناحية ثالثة ، فضلا عن تداخله مع كثير من العلوم من ناحية رابعة .

وتلك الورقات البسيطة لن تتحمل تعدد تعريفات كثيرة ، ولا تاريخ نشوء هذا المصطلح ، ولا المراحل التي مر بها ، لكن يمكن الإشارة إلى بعض منها ، كأنموذج على الدراسة بإذن الله تعالى .

يعرف الاستشراق بأنه ١- (الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام)([١]).

٢- أو هو : (أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه ومحاولة إعادة توجيهه والتحكم فيه)([٢]).

٣- أو (أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بما يسمى الشرق ، وبين ما يسمى (في معظم الأحيان) الغرب)([٣]).

---

[١]) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، أ . د / محمود زقزوق ، ص١٨ . دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .

[٢]) لم الاهتمام بالاستشراق ، د / شكري النجار ، مجلة الفكر العربي ، العدد ٣١ ، السنة (٥) ، ص٧١ ، عام ١٩٨٣م .

[٣]) الاستشراق – المفاهيم الغربية للشرق ، إدوارد سعيد ، ترجمة : د / محمد العناني ، ص٤٥ ، مطبوعات دار رؤية ، مصر ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م . الطبعة السادسة .



٤- أو (هذا الفرع المتخصص في البحث العلمي الذي يدرس لغات وأديان وتواريخ وثقافات هذا (الشرق) يسمى الاستشراق)[١].

هذه هي بعض تعريفات توضح المقصود من مصطلح (الاستشراق) ، ويلاحظ في تلك التعريفات ما يلي :

أولا : بعض تلك التعريفات قد ذكر الاستشراق ، دون أن يذكر بعض أهدافه ودوافعه ، كما في التعريف الأول ، في حين أن البعض منها قد ضمن تعريفه ذلك ، كما في التعريف الثاني .

ثانيا : يأتي التعريف الثاني ليجعل الأسلوب عاما ، في حين أن التعريف الثالث قد ربطه بالتفكير فقط ، أعني التفكير الغربي ، ولا شك أن الأعم أفضل ؛ إذ إن هناك أمورا متعلقة بالاستشراق خرجت من حيز التفكير إلى التطبيق والممارسة ، إلا أن يكون مقصود التعريف الثالث أن التفكير يمثل نقطة البدء والأصل الذي ينطلق منه .

ثالثا : قد يؤخذ على التعريف الثاني كونه قد حصر الاستشراق كله في دوافع سيئة فقط ، كمحاولة السيطرة على الشرق وغيره ، في حين أن هناك دوافع علمية بحتة للعلم والحق فقط ، قد قاد أصحابها إلى الإسلام .

رابعا : ذكر التعريف الثالث وظيفة هذا الاستشراق ، وما يؤدي إليه ، وأعني بذلك قوله : (على التمييز الوجودي والمعرفي بما يسمى الشرق ، وبين ما يسمى (في معظم الأحيان) الغرب).

---

[١]) الاستشراق السياسي وتاريخه – الصراع على تفسير الشرق الأوسط ، زكاري لوكمان، ترجمة : شريف يونس ، ص٩٧ ، ٩٨ ، دار الشروق ، مصر ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م . الطبعة الأولى .



خامسا : أما التعريف الرابع فقد حصره في دائرة (البحث العلمي) ، ولا أدري هنا هل يقصد البحث العلمي بنزاهته وشروطه ومناهجه ، أم مجرد البحث العلمي لذات البحث دون اعتبار لما سبق ؟.

هذا ، ويمكن للباحث استخلاص تلك التصورات السابقة لمصطلح (الاستشراق) ، وجعلها في بوتقة واحدة ؛ لتتحد كلها في تعريف واحد ، وهو أن الاستشراق (أسلوب غربي قائم على دراسات متعلقة بكل ما يخص الشرق صغيرا وكبيرا ، منطلقة من حيز التفكير والتنظير إلى الممارسة والتطبيق ، متضمنة بعض أهداف ودوافع ، متخذة بعض وسائل ؛ لتحقيق ذلك) .

وهذا التعريف قد تضمن :

أ- الأسلوب الغربي عموما . ب- تعلقه بكل ما يخص الشرق .

ج- جمعه بين التنظير والتطبيق . د- اشتماله على الأهداف والدوافع ؛ وقد أتت مفتوحة لم تحد بحد ؛ لتشمل جميع ما يرنو إليه المستشرقون .

هـ- إشارته إلى الوسائل التي اتخذها المستشرقون ، وهي كثيرة ولابد من الإشارة إليها في التعريف.

احتواء المصطلح على دلالات متعددة ورؤى متنوعة وأيدولوجية مختلفة :

ومما يدل على تعدد التعريفات ، وتنوع الدوافع ، وكثرة الدراسات حول هذا المصطلح ، هو أن (الاستشراق (Orientalism)) مصطلح تعددت دلالاته ودوافعه الفكرية والأيديولوجية عبر التاريخ والواقع المعاصرين ، فتراوحت دلالته بين دراسة لحضارة الشرق وثقافته وعاداته وتقاليده وأعرافه وأنماط معيشته...، ودراسة للدين والإسلام والقرآن والسنة والتاريخ الإسلامي ورموز المسلمين...، وتجاذبت دوافعه بين دراسة حرضها التنصير والتبشير،



ودراسة ساقها الاستعمار الكولونيالي ([1]) لإخضاع البلاد والعباد، وأخرى حملها الخوف على الأنا)الغربية(من الاستلاب الحضاري والثقافي أمام انتشار تعاليم الإسلام، ورابعة أخرى حفزها البحث عن الحقيقة وفهم الآخر الشرقي أو المسلم، وتحري هويته من داخل بيئته الشرقية والإسلامية؛ تمهيدا لمد جسور الحوار والتلاقي الحضاري بين الشرق والغرب، وبين أتباع الأديان، وقليل من هم كذلك.)([2]).

وهذا النص يمكن اعتباره استخلاصا لمصطلح الاستشراق عبر تطور دلالاته فيما يتعلق به ، من أفكار ورؤى وتصورات ، ودوافع وأهداف ، مما يدل على ما سبقت الإشارة إليه ، من تعدد التعريفات بتعدد ما تعلق بها .

إنشاء أول كرسي للدراسات العربية في الغرب :

[1]) تحمل لفظة (الكولونيالية) عدة دلالات تدور حول : الاستعمار والهيمنة الغربية ، وبيان الفرق بين الجنس الغربي والجنس الآخر ، وتفوق الجنس الغربي على غيره من وجهة النظر الغربية ، وأيضا الاستغلال الثقافي الذي تنامى بالتزامن مع التوسع الأوروبي . ينظر : دراسات ما بعد الكولونيالية – المفاهيم الرئيسية ، بيل أشكروفت ، جاريث جريفت ، هيلين تيفين ، ترجمة : أحمد الروبي وآخرون ، ص١٠٥ : ١١٢ . القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، مطبوعات الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١٠م . الطبعة الأولى .

[2]) الاستشراق (Orientalism) : شكلية المصطلح وتعدد الأيدولوجيا ، حسن أحمد الهادي ، ص٩ ، مجلة دراسات استشراقية ، العدد (٣٣) ١٤٤٤هـ – شتاء ٢٠٢٣م .



يشير (جوزيف شاخت) ([1]) إلى هذا الأمر بقوله : (وهكذا تأسس أول كرسي للعربية عام ١٥٣٩ في الكوليج دو فرانس ([2]) ، التي كانت قد تأسست حديثا ، وشغل هذا الكرسي غليوم بوستل([3]) العالم المستنير ، الذي يمثل عنصر النهضة خير تمثيل)([4]).

وهذا التأريخ يتضمن اهتماما مبكرا بالدراسات العربية في الجامعات والمعاهد الغربية ، إذ إن وقوع ذلك كما هو في النص قد وقع في القرن

[1]) جوزيف شاخت : مستشرق ألماني ، متخصص في الفقه الإسلامي . ولد في ١٥ مارس ١٩٠٢ ، في راتيبور (سيليزيا الألمانية) . له دراسة بعض المخطوطات العربية، وله مؤلفات في الفقه الإسلامي ، وتاريخ العلوم والفلسفة في الإسلام. توفي في أول أغسطس ١٩٦٩م . ينظر : موسوعة المستشرقين ، د / عبد الرحمن بدوي ، ص٣٦٦ : ٣٦٨ . دار العلم للملايين ، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . الطبعة الثالثة .

[2]) لعله اسم لمكان أو جامعة في الزمن المشار إليه ، وهي الآن اسم لكلية في باريس، لم أعثر لها على ترجمة مطبوعة ، لكنها موجودة على موقع (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة للمعلومات .

[3]) غليوم بوستيل : مستشرق فرنسي من الأوائل . ولد في دولري (في مقاطعة المانش شمال شرقي فرنسا) في عام ١٥٠١م . وتوفي في باريس في عام ١٥٨١م . له بعض مؤلفات في اللغة العربية .

ابتداء من عام ١٥٤٠ تقريبا تحولت نفسيته تحولا تاما ، فاستولت عليه أحلام شاذة لإصلاح أحوال العالم ، فضلا عن نزعة قومية فرنسية مغالية . ينظر : موسوعة المستشرقين ، نفس المصدر ، ص١٣٥ وما بعدها .

[4]) تراث الإسلام ، جوزيف شاخت وآخرون ، ترجمة : د / محمد زهير السمهوري وآخرون ، ج١ ، ص٥٤ ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٧٨م . بدون رقم طبع .



السادس عشر ، مما ينبئ عن حركة مبكرة أولاها الغرب للدراسات العربية وما اشتملت عليه من دراسات إسلامية. ([1]).

خامسا : لفظة (دراسة) :

تأتي لفظة (دراسة) من الفعل الثلاثي (درس) ، والذي يدور حول عدة معطيات دلالية ، تدور حول أثر الشيء وتقادمه وعفاءه ، فضلا عن القراءة والحفظ .

ففي المحكم (درس الشيء يدرس دروسا عفا ودرسته الريح ودرسه القوم عفوا أثره والدرس أثر الدارس والدرس والدريس كله الثوب الخلق والجمع أدراس ودرسان ودرع دريس ....ودرس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه من ذلك كأنه عانده حتى انقاد لحفظه وقد قرئ بهما {...وليقولوا درست...} (سورة الأنعام ١٠٥) ودارست وقيل درست قرأت كتب أهل الكتاب ودارست ذاكرتهم وحكى درست قرئت ...)([2]).

وفي المعجم الوسيط (درسا ودروسا : عفا وذهب أثره وتقادم عهده . والثوب ونحوه : أخلق وبلي. والبعير: جرب والمرأة : حاضت فهي دارس .(ج) درس ودوارس والشيء درسا غيره : أو محا أثره . والثوب : أخلقه . والدابة: راضها وذللها . والفراش : وطأه ومهده . والكتاب ونحوه درسا

[1]) تم الاكتفاء بما ذكر فقط كأنموذج على الدراسة ، أما ما يتعلق بمراحل الاستشراق ، وتاريخ ظهوره ، فضلا عن بقية دوافعه ، فتطلب من مظانها ، وهي كثيرة بفضل الله تعالى وحده .

[2]) المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، ج٨ ، ص٤٤٩ ، ٤٥٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م . الطبعة الأولى .



ودراسة : قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه. ويقال: درس العلم والفن . والحنطة : داسها . والطعام : أكله شديدا.

(أدرس) الكتاب ونحوه درسه وفلانا الكتاب ونحوه : جعله يدرسه

(دارس) الكتاب ونحوه مدارسة ودراسا درسه وفلانا قارأه وذاكره والذنوب قارفها.

(درس) الكتاب ونحوه درسه....

(تدارس) الكتاب ونحوه : درسه وتعهده بالقراءة ولحفظ لئلا ينساه والطلبة الكتاب درسه كل منهم على الآخر ([1]).

من تلك النصوص اللغوية يتضح أن مادة (درس) تدور حول :

أ- تقادم الشيء . ب- ذهاب أثره .

ج- الترويض.

د- بلاء الثوب . هـ- التلبس بالحيض بالنسبة للمرأة .

و- القراءة والمذاكرة . ز- توطئة الشيء وتمهيده.

وما من شك أن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد ، وما من شك كذلك أن المعنى المرتبط بهذه الدراسة هو أمران :

أ- تقادم الشيء . ب- القراءة والمذاكرة.

وبينهما ارتباط أيضا ، فهذه الدراسة لموضوع قد تقادم وقارب أثره بالذهاب ، فتأتي تلك الدراسة لتتبع هذا الأثر ومذاكرته وقراءته .

سادسا : لفظة (تحليلية) :

تأتي لفظة (تحليلية) اسما مؤنثا من الفعل (حل) ، والذي يعطي دلالات حول تفكيك الشيء والرجوع به إلى مكوانته وعناصره الأولى .

---

[1]) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص٢٧٩ ، ٢٨٩ . باختصار .



فقد جاء في معجم مقاييس اللغة (حل) : الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل ، وأصلها كلها عندي فتح الشيء ، لا يشذ عنه . يقال : : حللت العقدة أحلها حلا ...)([1]).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة (- مصدر حلل.. عملية تقسيم الكل إلى أجزائه ورد الشيء إلى عناصره "تفكير تحليلي" ....

تحليلية [مفرد]: اسم مؤنث منسوب إلى تحليل: "دراسة تحليلية: تتخذ التحليل أساسا لها".([2]).

ومن هذين النصين يتضح جليا أن مادة (حلل) ، والتي يأتي منها التحليل والتحلل ، تدور حول : تفكك الشيء ، والرجوع به إلى عناصره ، مع توسعته ، والاستفاضة في هذا التوسع ، بما ينافي التضييق أو التحديد.

ثانيا : بيان خطورة الدافع الاقتصادي للاستشراق :

لا مرية في أن الدافع الاقتصادي للاستشراق – قديما وحديثا – يمثل خطورة بالغة على كثير من المجالات الإسلامية المتعددة ؛ إذ إن آثاره قد امتدت لكثير من تلك المجالات ، فأثر فيها تأثيرا سلبيا واضحا ، استدعى لفت الأنظار إليه ، وتوجيه الأبصار إلى خطورته ، وتحريك الجهود إلى مجابهته ، والحيلولة دون وقوعه مرة ثانية في الواقع المعاصر والمستقبل الآتي .

إن ثمة أمورا قوية جعلت من هذا الدافع ذا خطورة واضحة على النظم الإسلامية عامة ، والنظام الاقتصادي منها خاصة ، لا سيما في مجال

---

[1]) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، ج٢ ، ص٢٠ .

[2]) ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج١ ، ص٦٤٧ ، ٦٤٨ . باختصار شديد .



تكوين الثروات ، وبناء الدخل ، وتكوين الحضارة لتلك الأمة العريقة ، أمة الإسلام الحنيف .

تنبع الخطورة في أول ما تنبع من خطورة الاستشراق نفسه ؛ إذ يمثل أيدولوجية مختلفة تماما ، تجابه أهل الإسلام في كل ما يتعلق بهم : عقديا وتشريعيا وأخلاقيا ، وفكريا واجتماعيا ...الخ ، إذ لا يعتقد إطلاقا أن الاستشراق قد انتهى أو توقف أو قلت آثاره ؛ ولهذا فإن (الاستشراق في حقيقة الأمر كان ولا يزال جزءا لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول : إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع . ولهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري . فقد كان للاستشراق – من غير شك – أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام ، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون بعيدة)([1]).

وإذا كان الاستشراق يمثل حلقة في حلقات هذا الصراع الحضاري ، وإذا كان هذا الاستشراق في عمومه ، أليس من باب أولى قضية الاقتصاد التي تمثل نقطة بالغة في بناء هذه الحضارة لكل أمة ؟ وفي الإجابة على هذا السؤال تكمن الخطورة البالغة لهذا الدافع ، الذي ما فتئ المستشرقون يعملون له سرا وجهرا .

إن البعض قد يقلل من خطورة الاستشراق في كونه يكتب للخاصة من الغربيين فقط ، وهذا اعتقاد خاطئ ، وتعلل باطل ، فـ(لقد ذهبت الأيام

---

[1]) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، أ. د / محمود حمدي زقزوق ، ص١١ .



التي كان يكتب فيها المستشرقون غالبا كتاباتهم ليقرأها مستشرقون مثلهم ، فإذا نحينا جانب الدراسات الفرعية المتخصصة ، فإننا نجد أن معظم الإنتاج المعاصر يقرأه ويقدر قيمته أعداد كبيرة من الباحثين والمثقفين العلماء في الغرب ، ومن هؤلاء أعداد قد تكون أكبر في العالم الإسلامي)([1]).

ولا ريب في أن هذا يمثل خطورة تتسع باتساع ما اشتملت عليه دائرة الاستشراق ، في من حوتهم من الخاصة من الكتاب الغربيين وغيرهم من العوام ، وعلى هذا فالخطر أعظم أثرا ، وأقوى تأثيرا ، وأوضح أسلوبا بلا شك .

ولقد ذهب إلى تقرير هذا الأمر المستشرق ريتشارد سوذرن ([2]) ، إذ يرى أنه ((إذا كان الباحثون المعاصرون يتجادلون في مدى تمثيل المستشرقين الغربيين (منذ القرن الثامن عشر) للوضع الاجتماعي والفكري بمجتمعاتهم ، فإن هذا لا يرد على اللاهوتيين المسيحين في عصور الغرب الوسطى ، فلقد كانوا هم الكنيسة والثقافة والخلاصة الاجتماعية للمجال الحضاري المسيحي الغربي)([3]).

وهذا كله تقرير لحقيقة ماثلة ، هي أن الاستشراق قد تعدت خطورته المثقفين والكتاب في الغرب ، إلى غيرهم من العوام ، حتى إنه بإمكانه

---

[1]) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية – دراسة نقدية ، د / عبد اللطيف الطيباوي ، ترجمة : د / قاسم السامرائي ، ص٣٠ ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية ١٤١١هـ – ١٩٩١م . بدون رقم طبع .

[2]) لم أعثر له على ترجمة .

[3]) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ، ريتشارد سوذرن ، ترجمة : د / رضوان السيد ، ص١٤ . مطبوعات دار المدار الإسلامي ، بيروت ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م . الطبعة الثانية .



تشكيل الرأي العام هناك ، على نحو ما صوره ريتشارد سوذرن في تصويره السابق .

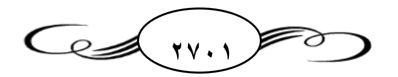
وعلى نحو تصوير تلك الخطورة نحا المرحوم – بإذن الله تعالى – العلامة أ / محمود محمد شاكر ([1]) ، إذ يرى أن المستشرقين(هم أهم وأعظم طبقة تمخضت عنها اليقظة الأوروبية ...الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر ، ورضوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدأت تموجد بالحركة والغني والصيت الذائع ، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختفية وراء أكداس من الكتب ، مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها)([2]).

هذا ، ومن خلال ما سبق فإن الباحث يرنو إلى تقرير تلك الحقيقة ، ألا وهي : أنه إذا كان الاستشراق يمثل تلك الخطورة البالغة على العالم الإسلامي ، فإن الدافع الاقتصادي – والذي يمثل جزءا من هذا الاستشراق ككل – يقتبس من نفس الخطورة ، وتنطبق عليه ما ينطبق على الاستشراق ككل ، فما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء لا محالة.

---

[1]) العلامة الأديب محمود محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر : الأديب المحقق ، من أسرة أبي العلياء من أشراف جرجا بصعيد مصر ، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين – رضي الله عنه – . ولد في الإسكندرية (١٣٢٧هـ – ١٩٠٩م) .ثم انتقل إلى القاهرة ، وفيها أكمل تعليمه كاملا . من مؤلفاته : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا – المتنبي – قوس العذراء – أباطيل وأسمار .. ...وغيرها . توفي في ٧ / ٨ / ١٩٩٧ م . ينظر ترجمته كاملة في : مجلة الأدب الإسلامي ، مجلدة (٤) ، العدد (١٦) جمادى الأخرة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م . ص ٥ : ٧ .

[2]) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، العلامة أ / محمود محمد شاكر ، ص٤٨ ، ٤٩ ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م . بدون رقم طبع . باختصار.



غير أن الخطورة تزداد تعقيدا أكثر ، وتتبلور بشكل أدق وأعمق ، حينما يرتبط هذا الدافع (الاقتصادي) عند المستشرقين بالمصالح الغربية التي ما فتئت لا تنتهي هي الأخرى ، فالحركة الاستشراقية (لا تزال متماسكة وقوية ومنظمة ، ولا تزال جمعيات المستشرقين ومؤتمراتهم المختلفة تمارس نشاطها ، ومعاهد الاستشراق منتشرة اليوم في أغلب الجامعات الأوروبية والأمريكية . هذا فضلا عن تغلغل المصالح الغربية في بلدان العالم الإسلامي ، وخاصة بلاد الشرق ، الأمر الذي يجعل هذه المصالح تساند الحركة الاستشراقية ، التي تقدم بدورها للجهات المعنية في الغرب الدراسات المختلفة عن العالم الإسلامي)([1]).

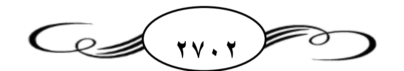
وفيما يبدو فإن تلك المصالح على عمومها ، وعند جملة إطلاقها ، فإنها أول ما تتعلق فإنها تتعلق بالاقتصاد ولا بد ، فهو عين تلك المصالح ، وروحها ، وعماد قيامها ، وبناء على هذا وانطلاقا منه ورجوعا إليه ، فقد (كان الشرق الأوسط مرتبطا بسياسات الدول العظمى ، واقتصاديات البترول)([2]).

والسؤال الآن : أليست تلك المصالح متجددة من حين لآخر ؟ وإذا كانت متجددة أليس في تجددها تمثيلا أكبر لما ترتبط به وهو الاقتصاد الإسلامي ؟ وهنا ، فليس الحديث عن مرة أو مرتين وينتهي الأمر ، لكنه حديث عن مصالح متعددة ، متنوعة ، متجددة ، ووكلما تتجدد يتجدد

---

[1]) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، أ. د / محمود حمدي زقزوق ، ص٥٦ .

[2]) الاستشراق ...المفاهيم الغربية للشرق ، إدوارد سعيد ، ص٧٨ .



الخطر على ما ارتبطت به ، ألا وهو الاقتصاد الشرقي الذي ترنو البلاد الغربية إلى اقتناصه والاستفادة منه .

وليت الخطورة الماثلة في هذا الدافع ، والكامنة فيه كمون الحرارة في النار ، ليتها تقف عند هذا الحد ، بل إنها تتعقد بشكل أوضح ، حينما يتعلق هذا الدافع لدى المستشرقين ، فيما يمكن تسميته بـ (الاستعباد المالي التجاري) ، حيث إن (الاستعباد التجاري والمالي ، وحتى الاستغلال الإنتاجي – وهو استغلال منهجي بلا شك – ، لا يستنفدان معناه تماما ، كما أن المشروع الاستعماري صنو لمشروع السيطرة الكاملة على الطبيعة ، فبعد المأثرة البحرية للقرن السادس عشر ، تأتي المأثرة العلمية للقرن الثامن عشر ، ووراء وضع اليد على الثروات وعلى الأرواح يأتي المسح الموسوعي للكون)([1]).

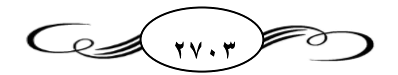
إلى أن قال : (ولا يجري إهمال الأهداف السياسية والاقتصادية والاستراتيجية بسبب ذلك)([2]).

وعلى هذا يمكن القول بأن استنفاد الثروات من العالم الإسلامي ، ثم كون ذلك تمهيدا لهذا الاستعباد هو عين الخطر بذاته ، ولا يمكن الغرب من ذلك ، إلا تلك الدراسات التي تمهد له الطريق ، وتفصح له الأمر ، وتضع له الإحصائيات ، وكل هذا كامن بلا شك في هذا الاستشراق عموما ، ودافعه الاقتصادي على وجه الخصوص.

---

[1]) تغريب العالم ، سيرج لاتوش ، ترجمة : أ / خليل كلفت ، ص١٤ ، مطبوعات دار العالم الثالث ، بدون ذكر اسم البلد ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م . الطبعة الأولى .

[2]) نفس المرجع ونفس الصفحة .



ويأتي أمر آخر لتكتمل حلقة الخطورة في هذا الدافع ، وهو تصوير الإنسان الشرقي في صورة العاجز عن الأعمال والتبادلات التجارية ، وهو بلا شك تصوير تكمن خطورته في كونه يكرس لتلك النظرة الاستعلائية التي ينظر إليها بعض الغرب للشرقيين ، فهناك (الكثير من الأطروحات المعتمدة التي كان يعتنقها المستشرقون ، وهم الذين لم تكن أفكارهم الاقتصادية تتجاوز ما يزعمونه عن عجز الشرقي عجزا أساسيا عن التبادل والتجارة والعقلانية الاقتصادية .

ولقد ظلت هذه القوالب الفكرية تحظى بالقبول – في مجال الدراسات الإسلامية – على امتداد مئات السنين دون مبالغة)([1]).

وإذا كانت تلك النظرة قد ندرت أو قلت في هذا العصر ، فإنها بلا شك كانت موجودة ، وكانت تمثل فكرا غربيا مؤثرا في وقت زمانه وحدوثه ، وهو ما يقرر أيضا أن الخطورة قائمة على افتراض رجوع تلك النظرات الخاطئة.

ويأتي آخر صور لخطورة الدافع الاقتصادي للاستشراق ، فيما يسمى بـ (نظام العولمة) ([2]) ، والمرتبط أساسا بالعامل الاقتصادي ، إذ (كان ولا يزال جانب كبير من أهم الدراسات التي أجريت عن النظام الاقتصادي

---

[1]) الاستشراق ...المفاهيم الغربية للشرق ، إدوار سعيد ، ص٤٠٠ .

[2]) العولمة : في المجال الاقتصادي تعني : إلغاء القيود على الحركة للناس ، والأموال، والسلع ، والخدمات ، والمعلومات بين الدول على النطاق الكوني ، بحيث تصبح الكرة الأرضية أقرب ما تكون إلى سوق واحدة . تتزعم الدعوة إلى العولمة عدة دولة متقدمة اقتصاديا ، فضلا عن بعض مؤسسات مالية وبنكية عالمية . ينظر : الموسوعة العربية الميسرة ، مجموعة مؤلفين ، ص٢٣١١ . باختصار .



والسياسي الجديد تعلق بما وصفه (هاري ماجدوف) في مقال حديث بتعبير (العولمة) ، وهو النظام الذي يسمح لنخبة ضئيلة من رجال المال بتوسيع سلطانها حتى يشمل العالم كله ، وهو ما يؤدي إلى تضخم أسعار السلع والخدمات ، وإعادة توزيع الثروة بنقلها من قطاعات أصحاب الدخول المنخفضة (عادة في العالم غير الغربي) إلى قطاعات الدخل المرتفع)[1].

من خلال تلك النصوص السابقة ، يتضح أن خطورة الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين ، يكمن في عدة أمور بالغة الأهمية والخطورة ، ومنها ما يلي :

أولا : إن خطورة هذا الدافع تستمد من خطورة الاستشراق نفسه ، حيث يمثل محيطه الأعظم ودائرته الكبرى ، وينطبق عليه ما ينطبق على ما ينضوي تحته وهو الاستشراق .

ثانيا : يرتبط هذا الدافع بالمصالح الغربية في بلاد الشرق ، والتي تتجدد دائما ولا تنتهي ، وكلما تطورت الآلات ، وتقدم العلم ، ازدات الحاجة إلى تلك المصالح بلا شك .

ثالثا : تمثل خطورة هذا الدافع أيضا في كون المستشرقين هم عين بلاد الغرب ، وراسمي خططه ، وواضعي خريطته ، فهم لهم الكلمة الكبرى هناك، وارتباطهم بالدوائر السياسية لا يخفى على أحد ، على نحو ما سيأتي بإذن الله تعالى .

---

[1]) الاستشراق ...المفاهيم الغربية للشرق ، إدوارد سعيد ، ص٥٢٩ .



رابعا : تصوير الشرقي على أنه عاجز ولا يملك خبرة في مجال التجارة والتبادل التجاري أمر يمثل خطورة بالغة ، وإذا كان هذا فترة من الزمان ، إلا أنه كان موجودا ، ويمثل فكرا ، وتنطلق منه رؤى وتصورات .

خامسا : النزوع العالمي نحو العولمة جراء الاقتصاد ومكوناته ، أمر له خطورته البالغة هو الآخر ، إذ العولمة ترتبط أصلا بالاقتصاد ، وهو عين ما يهدف إليه النظام الغربي ، وأحد وسائله هو الاستشراق بلا شك .

المبحث الأول :

بواعث قيام الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، ويشتمل
على مقدمة

وثلاثة مطالب:

المطلب الأول :

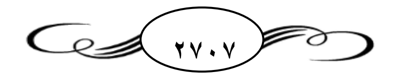
بواعث تتعلق بالأسواق التجارية .

المطلب الثاني :

بواعث تتعلق بالهيمنة الغربية على بلاد الشرق.

المطلب الثالث :

بواعث تتعلق بإقرار النظم الاقتصادية الغربية .



مقدمة

يتألف الدافع الاقتصادي من عدة بواعث حقيقية ([1]) ، عملت على قيامه وظهوره ، وكانت بمثابة النواة الأولى التي أظهرت هذا الدافع بقوة ، وكما تمت الإشارة سابقا أنها بمثابة دوافع عملت على قيام دافع أكبر ، وعوامل عملت على ظهور عامل أكبر ، وبدون تلك البواعث أو ما يمكن تسميته بمقومات ، ما كان لهذا الدافع الاقتصادي أن يظهر أو أن يكون له تأثير .

---

[1]) هناك أسباب متعلقة بالعالم العربي والإسلامي ، هيئت العالم الغربي لهذا الدافع الاقتصادي للاستشراق ، ومنها ما يلي :

أ- ضعف العالم الإسلامي وابتعاده عن كثير من تعاليم الإسلام .

ب- تدهور العالم الإسلامي في كثير من مستوياته الاقتصادية ، والسياسية ، والفكرية ، والتعليمية ...الخ ، مما جعله لقمة سائغة تحت نير الاستعمار ومن ثم دراسات الاستشراق.

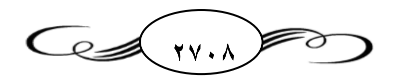
ج- تفرق وتشرذم العالم الإسلامي ، وعدم اتحادهم تحت كلمة واحدة ، أو لواء واحد .

د- عدم الاستغلال الأمثل لموارد العالم الإسلامي من قبل المسلمين أنفسهم ، حتى وضع العالم الغربي يده على تلك الموارد واستغله لنفسه ، بإمكانياته المتقدمة.

هذا ، ولم يتعرض الباحث لهذه الأسباب بالشرح والتفصيل لسببين ، وهما :

الأول : أن هذا البحث بوريقاته البسيطة لا يتحمل مثل هذا التوسع ، إذ هو بحث ملخص وليس رسالة أكاديمية موسعة .

الثاني : أن المقصود من تلك البواعث هو ما كان متعلقا بالعالم الغربي نفسه ، تلك التي دعته إلى مثل هذا الدافع الاقتصادي أما ما يتعلق بالعالم الإسلامي فينبغي أن تكون له دراسة مستقلة ، ولعل الله تعالى يوفقني إلى القيام بتلك الدراسة في بحث مستقل إن شاء الله تعالى وحده.



وتتنوع تلك البواعث والمقومات ، فلم تأت على وتيرة واحدة أو نمط واحد دون ما سواه ، وهو ما يعني : اتساعا في التأثير ، وقوة في الأثر ، وتعددا في النشاط ، وتغلغلا في المصالح ، وتلبسا بها بشكل أوضح ، وتقريرا لها بشكل أكبر .

ويأتي تنوع تلك البواعث لينقسم إلى ما هو متعلق بالأسواق التجارية ، وكل ما يرتبط بها من فتحها ، واستغلالها ، وتصدير المواد الخام الأولية إليها ...الخ ، ثم البواعث المتعلقة بالهيمنة الغربية ، حيث المصالح وتقرير تلك الهيمنة ، ومساعدة الاستعمار قديما ، ثم أخيرا المحاولات التي كانت مستميتة من كثير من المستشرقين لتقرير وتأكيد النظم الاقتصادية الغربية ، على حساب النظم الاقتصادية الإسلامية .

وشرح ذلك كله وبيانه وتفصيله وإقامة الأدلة عليه ، على النحو التالي بإذن الله تعالى وتوفيقه ....

المطلب الأول :

بواعث تتعلق بالأسواق التجارية .

يقوم الدافع الاقتصادى لدى الاستشراق ومن ثم المستشرقين ، على مصالح تجارية غاية في الأهمية ، كانت بمثابة بوادر دفعت إلى قيام هذا الدافع والتقدم نحوه بقوة ، ومثلت تلك البواعث حجر الزاوية في قيامه وظهوره والانطلاق منه .

إن تلك البواعث الآتية – إن شاء الله تعالى – ارتبطت ارتباطا وثيقا بالغرب ومصالحه ودوله ، ومن ثم تم تجنيد المستشرقين لخدمتها وتحقيقها ، وستكشف تلك السطور القادمة ، كم كان المستشرقون أداة طيعة ، وسببا قويا ، لتحقيق تلك المآرب التجارية ؛ ليقوم الدافع الاقتصادي في صورته التي كانت عليها بعد ذلك .

وتلك البواعث والمقومات التي أدت إلى قيام الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين كانت على النحو التالي:

١- الاستفادة مما تنتجه الشعوب الشرقية ، وعرضها بمبالغ زهيدة .

٢- الحصول على المواد الخام الأولية .

٣- فتح أسواق لتصريف المنتجات الغربية .

٤- محاولة استمرار التجارة الرابحة ، واستباق استحالة ذلك .

وإذا كان هذا إجمالا موجزا ، فتفصيله بإذن الله وتوفيق على النحو التالي :

أولا : الاستفادة مما تنتجه الشعوب الشرقية ، وعرضها بمبالغ زهيدة :

لا ريب في أن الله تعالى قد حبا بلاد المشرق ثروات هائلة ، لا يمكن غض الطرف عنها بحال ، لا سيما المشرق الإسلامي والبلاد العربية



الإسلامية ، فكان هدف الغرب الاستفادة من تلك الثروات والمنتجات التي تأتي من الشرق ، واقتناصها بمبالغ زهيدة بعيدة تماما عن ثمنها الحقيقي ، ولعب المشرقون في سبيل ذلك دورا محوريا مهما ، فقد (ساهم المستشرقون في مساعدة العالم الغربي في رسم سياسة اقتصادية ، هدفها الاستفادة مما تنتجه الشعوب الشرقية ، سواء من حيث الموارد الطبيعية التي يتم الاستيلاء عليها ، أو[1] الحصول عليها مقابل مبالغ زهيدة ، أو لغرض ترويج البضائع الغربية والبحث عن أسواق جديدة)[2].

وهذا بلا شك يمثل باعثا قويا على ظهور الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين ، ومن ثم راح المستشرقون يمهدون ذلك كله للبلاد الغربية .

وليس هذا اتهاما للقوم أو رميا لهم بدون أدلة ، إذ إن بعض الكتاب الغربيين أقر بهذا وأكد عليه ، إذ يقرر أن (هذه الطرق ، وهذه المرافئ وهذه الخطوط الحديدية ، لم يكن القصد منها في الواقع ، تهيئة ظروف تطور حقيقي – في هذه البلدان – بقدر ما كانت الوسائل التي تتمكن البلدان المتقدمة بواسطتها من استغلال قسم من موارد البلدان المستعمرة ، وتصديرها لصالح المصالح الاستعمارية)[3].

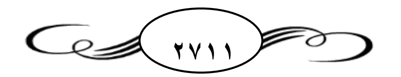
وهذا النص – وإن كان متعلقا بالاستعمار – إلا أن تعلقه بالمستشرقين يأتي على صورتين :

---

[1]) الصحيح (أم) كما هي قواعد اللغة العربية مع (سواء) .

[2]) الاستشراق – الأهداف والغايات ، عبد العالي أحمامو ، مقال بمجلة : دراسات استشراقية ، السنة الخامسة ، العدد (١٤) ، ١٤٣٩هـ – ربيع ٢٠١٨م ، ص١٥٠ .

[3]) الاقتصاد السياسي للتخلف وأسباب التخلف الأساسية ، بول باران وايف لاكوست ، ص٥٩ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٨ م . الطبعة الثانية .



الأولى : أن المستشرقين كانوا يمهدون للاستعمار ويطعون له البلاد والعباد ، كما سيأتي تقريره إن شاء الله في ثنايا تلك الدراسة .

الثانية : أنهم كانوا يقدمون المعلومات والإحصائيات والمنتجات المتعلقة بالاقتصاديات للبلاد المشرقية عموما ، والإسلامية منها على وجه الخصوص ، كما سيأتي أيضا وتقوم عليه الأدلة بإذن الله تعالى .

وعلى كل فإن المستشرقين كانوا سببا مباشرة في قيام هذا الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، ومصاحبته له ، ووصفه به ، وكان استغلال منتجات الشرق باعثا قويا في ذلك .

ثانيا : الحصول على المواد الخام الأولية :

رغم أن إنتاج المواد الأولية من البلاد الشرقية يدخل ضمنا تحت الباعث الأول آنف الذكر ، لكن تم تخصيصه بمفرده لأهميته من جانب ، وكون المستشرقين قد أولوه عناية فائقة من جانب ثان ، ثم نظرا لأثره وما يمثله في قيام الاقتصاد في العصر الحديث من جانب ثالث .

كانت هذه النقطة المتعلقة بالمواد الأولية قد أولاها الغرب أهمية واضحة ، (فعندما بدأت أوربا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية ، وكانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعها ؛ إضافة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعها ، كان على الأوربيين أن يتعرفوا على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ، ويمكن أن تكون أسواقا مفتوحة لمنتجاتهم ، فكان الشرق الإسلامي والدول الإفريقية والأسيوية هي هذه

البلاد ، فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ، ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها)([1]).

وهل تلك الدراسات المعنية في تلك النص ، إلا دراسات استشراقية في المقام الأول ، إذ هم الذين درسوا تلك البلاد ، وسبروا أغوارها ، ووضعوا بيد بلادهم على تلك المواد الأولية التي كانت كامنة في المشرق؟.

ومن أجل هذا فقد كان(غزو الأسواق والتزود بالمواد الأولية ، والبحث عن أرض جديدة ، بل حتى الحاجة إلى الأيدي العاملة كانت الرفاق الطبيعية للإمبرالية ([2]) الكولونيالية)([3]).

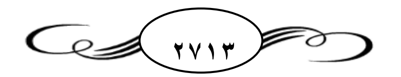
ولكن ، ما الذي يجعل الأوربيين ومن ثم المستشرقين الذين من بني جلدتهم ويدينون بنفس دينهم ، أن يهتموا بالشرق خصوصا من ناحية المواد الأولية؟.

---

[1]) الاستشراق – الأهداف والغايات ، عبد العالي أحمامو ، مجلة دراسات استشراقية ، السنة الخامسة ، العدد (١٤) ، ١٤٣٩هـ – ربيع ٢٠١٨م ، ص١٥٠ .

[2]) الإمبرالية وأيضا : الإمبريالية : ظاهرة سياسية اقتصادية وعسكرية ، ظهرت بظهور الإمبراطوريات منذ العصر اتلقديم آشور وبابل وفارس . وظهرت في أوربا في العصر الحديث بظهور القوميات ، وحركة الكشوف الجغرافية ، وقيام المذهب التجاري . متأثرة في أصولها الفكرية برواسب الفلسفة الأرسطية الأوروبية ، حيث نبرة استعلاء الجنس الآري وتميزه ، وأن من عداه فهو عبد ، وله عقلية العبيد ، وينبغي أن يعامل بما تعامل به البهائم .ينظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مجموعة مؤلفين ، إشراف : د / مانع بن حماد الجهني ، ج٢ ، ص٩٦٣ . مطبوعات دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م . الطبعة الثالثة .

[3]) تغريب العالم ، سيرج لاتوش ، ص١١ .



والإجابة تكمن في أنه (نعلم أن من أهم الأسباب التي تدعو الدول الصناعية إلى ركوب مراكب الأخطار في الاستعمار هو جلب الغذاء لبلادها، والاستئثار بالمواد الأولية لمصانعها وإيجاد مصارف لصناعاتها، ومخارج لبضائعها، وأن أرض الأوروبيين ضاقت بهم، ولا سيما بعد منتصف القرن التاسع عشر؛ وعلمتهم حضارتهم أن لا يقنعوا في طلب الربح، وأن يتوسعوا كل التوسع في مطامعهم. ونعلم أن الشرق مهمل متسع الرحاب، يعول أهله ويعول أضعاف أهله، إذا حسن استثماره)([1]).

وإذا كان ركوب الأخطار ، والدفع بالمستشرقين ، والتوسع على حساب الأمم ...الخ ، كل هذا سبيلا للحصول على المواد الأولية من بلاد الشرق ، فلا عجب إطلاقا أنه (على هذا الأساس لم يتورع أرباب المصانع والشركات من تقديم العون والمال للباحثين المستشرقين في هذا المجال ، ثم توجيههم الوجهة التي أرادوها)([2]).

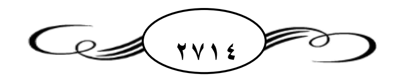
لكن، ما الذي يجعل قادة البلاد الغربية يتخذون المستشرقين غرضا لذلك ، وهل يمكن للمستشرقين أن يقدموا أفضل من غيرهم في هذا المضمار ؟.

في ظني أن ذلك راجع إلى أمور ، ومنها :

---

[1]) الإسلام والحضارة العربية ، محمد كرد علي ، ص٣٠١ ، ٣٠٢ ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

[2]) موقف المشارقة من المستشرقين ، د : صبحي ناصر حسين ، مجلة الاستشراق ، العدد (١) ، ص٤٨ ، كانون الأول ١٩٨٧م .



أ- أن المستشرقين ينطلقون من أسس وأصول دينية ، هي التي تدفعهم وتحثهم على ذلك ، فيكون خطاب القادة لهم من باب الدين وخدمته في زعمهم ، فكانوا هم أفضل من غيرهم في هذا الباب .

ب- أن المستشرقين قد قرأوا عن الشرق ، وآدابه ، ولغاته ...الخ ، وكان من ضمن ما قرأوا عنه جغرافية المشرق ، وبالتالي هم سواعد حقيقية للبلاد الغربية في ذلك .

ج- أن المستشرقين غالبا يتسترون في لباس البحث العلمي ومدارسته ، وبالتالي يكون التعامل معهم من ناحية الشرق مستساغا نوعا ما ، فيما لو كانوا جغرافيين واضحيين لبلاد الغرب ؛ فسيكون التعامل معهم من المشرقيين أشمل ريبة وأوضح تخوفا .

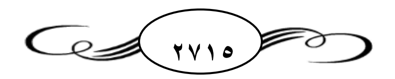
د- وأن المستشرقين أيضا أخف أجرا من غيرهم وأقل تكلفة ، أعني فيما لو تم استخدام غيرهم في هذا المضمار خصيصا لهذا الباب فقط ، وذلك أيضا لسببين :

الأول : أن الكنيسة – في الغالب – هي التي كانت تتولى الإنفاق على المستشرقين ، فكانوا أداة طيعة يتبارون في خدمتها ، وبالتي فلن يبالغوا فيما يطالب هؤلاء منها بلا شك .

الثاني : أن (جغرافية البلاد الشرقية) كانت تدخل ضمنا في الدراسات الاستشراقية عامة ، فليس هناك إيفاد خاصا مخصصا لها ، ولو كان فسيكون ثمنا أعلى وأجرا أكبر بلا ريب .

ثالثا : فتح أسواق لتصريف المنتجات الغربية :

مع التقدم الهائل الذي تتمتع به الدول الغربية ، في مجالات متعددة ، نحو الزراعة والصناعة والتجارة والتعدين ...الخ ، إلا أنه كان ينقصها أن



توجد أسواق لتصريف تلك المنتجات والبضائع ، وإلا كانت في محل العدم ؛ إذ سيشوبها تكدس وتفوت مصلحتها والغرض منها بلا شك .

ولما كان الشرق أكبر عددا ، وأغزر إنجابا ، وأقل إنتاجا من الغرب ، فقد اتهجت أنظار الغرب للسوق الشرقية ؛ لتكون متنفسا لمنتجاتهم حينما ينتجون .

ومن هنا فقد كانت الدواعي للاستعمار ومن ثم الاستشراق المخطط له، هو (غزو أراض جديدة لتوطين الفائض من السكان عندنا ([1])، إيجاد أسواق جديدة لمنتجات مصانعنا ومناجمنا والمواد الأولية لصناعتنا، غرس لواء الحضارة في وسط الأعراق السفلى والمتوحشة)([2]).

وإذا كان هذا النص على عمومه ، فإن العلاقة بين ذلك وبين الاستشراق ، يوضحها بشكل أعمق المفكر إدوارد سعيد ، إذ يرى أن (العلاقة بين الشرق وأوربا أصبحت تخضع للتوسع الأوربي العارم ؛ طلبا للأسواق والموارد والمستعمرات ، وأخيرا لأن الاستشراق كان قد اكتمل (تحوله الذاتي) من خطاب علمي إلى مؤسسة إمبريالية)([3]).

وفحوى النص ودلالاته قاطعة بأن (الاستشراق) قد تم استخدامه لهذا الغرض ، وما قيل في المواد الأولية في علاقة الاستشراق بها ، يقال أيضا في مثل هذا ، إذ المستشرقون لما خالطوا ديار الشرق وخاصة ديار

---

[1]) كأن الحديث هنا على لسان الغرب ، كما يصوره الكاتب في كتابه .

[2]) نقد العقل الزنجي، أشيل مبيمبي، ترجمة / طواهري ميلود ، ص٩٧ ، ابن النديم للنشر والتوزيع /دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت ، الجزائر ، ٢٠١٨ ، بدون رقم طبع.

[3]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص١٧٣ .



الإسلام ، عرفوا ما تحتاجه أسواق تلك البلاد ، فكانوا همزة وصل بين بلادهم ومنتجاتها من جانب ، وأسواق تلك البلاد وما تحتاجه من جانب آخر، فكان باعثا قويا لوجود الدافع الاقتصادي وتحقيقه ، ووجوده حقيقة على أرض الواقع.

ولا أدل على أن المستشرقين كانوا على دراية بهذا ، وأن دراساتهم كانت تحوم نحو هذا الباعث ، ومن ثم المؤدي إليه ، وهو الدافع الاقتصادي عموما من هذا الذي أشار إليه المستشرق (هاملتون جب) ([1]) في إحدى كتاباته ، إذ يقرر أن(النتيجة النهائية للمنافسة بين الصناعات المحلية المختلة إلى حد ما ، وبين الجهود المنظمة للاستيلاء على السوق الشرقي لتصريف نتاج المصانع الأوروبية ، هذه النتيجة لم تكن محلا للريب طويلا ، وربما كان فتح تجارة النقل إلى أوروبا مباشرة ، مما بعث نشاطا مؤقتا في بعض الصناعات الوطنية ، ولكن جلب البضائع إلى الشرق ، كان لابد مؤديا آخر الأمر إلى تأخرها والقضاء عليها)([2]).

---

[1]) مستشرق إنجليزي . ولد في مدينة الإسكندرية (مصر) في ٢ يناير ١٨٩٥م ، وتوفي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧١م في أكسفورد . وصف إنتاجه بأنه أدنى بكثير من الشهرة التي حصل عليها ؛ وذلك لأسباب كثيرة كلها بعيدة عن العلم . يتوزع أنتاجه في ثلاثة ميادين : الأدب العربي ، التاريخ الإسلامي ، الأفكار السياسية الدينية في الإسلام . من مؤلفاته : المحمدية – الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، الأدب العربي ، وغيرها . ينظر : موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي ، ص١٧٤ ، ١٧٥ .

[2]) وجهة الإسلام – نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي ، هـ – ر . ا . جب ، ل . ماسينون ، ترجمة أ / محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ص٢٣ . بدون بيانات .

ومن ثم كانت المحصلة النهائية لمثل تقرير هذا الباعث أمرين :

الأول : أن بلاد الغرب كانت في حاجة ماسة لفتح أسواق لتصريف منتجاتهم ، تكون أكبر سعة ، وأقدر تصريفا ، وأكثر استهلاكا .

الثاني : أنه قد تم بالفعل استخدام المستشرقين في تحقيق مثل هذا الباعث ، على نحو ما ذكره إدوارد سعيد وهاملتون جب ، فتكون دراساتهم تلك لمثل هذا الأمر باعثا قويا لتحقيق ذلك ، مما أظهر الدافع الاقتصادي لديهم بشكل أوضح .

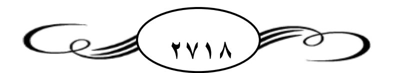
رابعا : محاولة استمرار التجارة الرابحة ، واستباق استحالة ذلك :

إذا نجح الغرب في امتلاك المواد الأولية من بلاد الشرق ، وكان المستشرقون سبيلا واضحا في ذلك ، وإذا نجحوا أيضا في فتح أسواق رئيسية لهم ؛ لتصريف تلك المنتجات العالقة ببلادهم ، فإنهم سيصبحون في أمس الحاجة لاستمرار تلك التجارة المربحة لديهم ، والحيلولة دون انقطاعها أو توقفها .

وقد كان بعض المستشرقين لهم اليد الطولى في مثل هذا الاستمرار ، إذ قعدوا لذلك وكرسوا جهودهم من أجله ، ومن هؤلاء (بول جونسون) ([1])، الذي ينقل عنه إدوارد سعيد رؤية يراها تكرس لمثل هذا الاستمرار لتلك التجارة المربحة ، لبلاد الغرب على حساب بلاد المشرق ، إذ إن هذا (النموذج الذي يقدمه هو النموذج الاستعماري الصريح الذي ينتمي للقرن

---

[1]) بول بيدي جونسون : صحفي ، ومؤرخ ، ومؤلف إنجيليزي ، ورئيس التحرير السابق لمجلة نيوستيتسمان . ولد في ٢ / ١١ / ١٩٢٨م . وتوفي في ١٢ / ١ / ٢٠٢٣م . له عدة مؤلفات ، منها : المثقفون . ينظر / موقع ويكيبيديا . الشبكة الدولية للمعلومات .



التاسع عشر ، إذ يقول : إن ممارسة التجارة الرابحة سوف تستحيل على الأوروبيين ، إلا إذا فرضوا النظام بالمعنى السياسي)([1]).

ومن خلال هذا النص ، تظهر أسئلة واضحة ، وتلوح في الأفق بقوة ، وهي :

- من الذي افترض وجود مثل هذا النموذج ؟ أليس مستشرقا ؟.
- من الذي يقدم له مثل هذا النموذج ؟ أليس الغرب الذي ينتمي إليه المستشرقون ؟.
- ما الجهة المستهدفة لفرض مثل هذا النموذج ؟ أليس الشرق ذي المطمع؟.

وفي الإجابة على مثل تلك الأسئلة ، يظهر تقرير تلك الحقيقة الماثلة، وهي أن الاستشراق لعب دورا محوريا ، ومثل حجر الزاوية ، لتحقيق مثل هذا ، فكان باعثا لديهم أظهر الدافع الاقتصادي عندهم ، وعمل على تكوينه ، إلى أن صار بمثل هذا الوضوح الذي ليس بخاف على الإطلاق .

---

[1]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص٥٢٧ . صاحب النموذج هو بول جونسون .



المطلب الثاني : بواعث تتعلق بالهيمنة الغربية على بلاد الشرق.

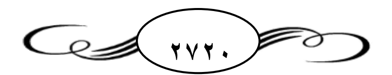
ظلت العلاقة بين الشرق والغرب ماثلة في صورة صراع حقيقي بين الطرفين ، تغذيه رؤى وتصورات وأيدولوجيات عملت على تقويته ونمائه ، بل واستمراره والتأكيد عليه ، وانطلاقا من هذا الصرع – الذي لا ينتهي – راح الغرب يتخذ الوسائل لفرض الهيمنة الغربية على بلاد الشرق ، وعدم خروج هذه البلاد من تحت هذه الهيمنة أو حتى التفكير في ذلك ، وكان من ضمن تلك الوسائل هو : الاقتصاد ، بكل ما يتعلق به ، وبجميع صوره و نظرياته ...الخ .

وقد تم استخدام المستشرقين لمثل هذا و تحقيقه ، فمثل باعثا قويا لديهم ، عمل على تكوين الدافع الاقتصادي وظهوره بقوة على مسرح الأحداث بين الطرفين ، التي ما فتئت لا تنتهي أبدا.

وتلك البواعث التي عملت على تحقيق مثل هذا ، وكانت تتعلق بالمستشرقين في المقام الأول ، هي :

١- تأكيد الهيمنة الغربية ، وتقرير الصراع بين الشرق والغرب .
٢- خدمة الاستعمار وتمهيد الأرض له وإخضاع الشعوب لسيطرته .
٣- النظرة إلى العرب عموما والمسلمين خصوصا بأنهم قوم لا يستحقون التملك ، وأن ثروتهم يجب ألا تكون في أيديهم .

ولا شك في أن شرح مثل هذه الأمور مجتمعة أمر يطول بحثه ، ويصعب استقصائه من جميع جوانبه في تلك الورقات البسيطة ، فليكن



ضرب مثل على كل واحدة منها ، كأنموذج على الدراسة ، وتقرير المطلوب، والقطع بالمراد بإذن الله تعالى ، على النحو التالي :

أولا : تأكيد الهيمنة الغربية ، وتقرير الصراع بين الشرق والغرب :

إذا كان المستشرقون ينتمون في الأصل إلى الغرب ، وإذا كان الغرب في صراع حقيقي مع الشرق ، فلا غرو أن نجد المستشرقين ينطلقون من نفس الواحة ، التي منها يستقون ، وفيها يرتعون طوال حياتهم .

ومن أجل هذا ، فـ(من يمعن في مضمون الفكر الغربي يستخلص نتائج جمة عن قيمة الخطاب المهيمن في الفكر الغربي ، الذي ما فتئ يقارن نفسه بالشرق)([1]).

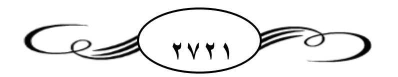
هذا هو الغرب عموما ، والمستشرقون جزء منه بلا شك ، ولهذا فدورهم في تغذية هذا الصراع من جانب ، وتأكيد الهيمنة الغربية على الشرق – من جانب آخر – كانت أوضح ما تكون ، فـ(الاستشراق حركة فكرية ذات سيادة ، أى تسعى إلى تحقيق السيادة الفكرية الغربية)([2]).

ولا ريب في أن هذا حينما يكون هدفا للاستشراق وغرضا للمستشرقين، فيمثل بلا شك باعثا قويا على تحقيقه ، ومن سبل تحقيق ذلك الاقتصاد ، على ما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

---

[1]) نقد الخطاب الاستشراقي وجدلية الشرق والغرب – إدوارد سعيد نموذجا ، أحمد شمحيط ، مجلة دراسات استشراقية ، السنة الخامسة ، العدد (١٤) ، ١٤٣٩هـ – ربيع ٢٠١٨م ، ص١٧٩ .

[2]) أزمة الاستشراق المعاصر والحديث ، أ . د / محمد خليفة حسن ، ص١٤٢ . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م . الطبعة الأولى .



إن النزعة الفكرية سبيلا مهما لتحقيق هيمنة من يعتنقها ، ولهذا كان الاستشراق البادرة الحقيقية والنواة الرئيسية لمثل هذه النزعة ، وتقريرا لهذا ، فـ(لا ريب أن النزعة الإمبراطورية التوسعية كانت تستحوذ على الحكومات الغربية ؛ حتى جندت لها أعلى الطاقات الفكرية ، ودفعت بها خارج بلادها تستغل الرهبنة والاستشراق لخدمة مصالحها الاستعمارية الواسعة)[١].

والسؤال الآن : ما دور الدافع الاقتصادي في تقرير مثل هذا ، وما العلاقة بينه وبين الاقتصاد في الفكر الاستشراقي؟.

والإجابة تكمن في ظن الباحث حول ما يلي :

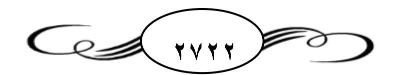
أ- إن الصراع بين الشرق والغرب لا يكمن في صورة معينة بذاتها ، ولا في مجال معين بذاته ، وبالتالي فمدلول مصطلح (الصراع) واسع فضفاض ، يشمل كل ما يتعلق بالشرق والغرب ، ومن ضمن ما يدخله الاقتصاد بلا شك.

ب- إن الاقتصاد يمثل العمود الفقري ، والبناء الرئيسي لأي دولة تريد التقدم والازدهار ، ولو حدث مثل ذلك للشرق ، فإنهم لن يظلوا قابعين تحت تلك الهيمنة الغربية ، وبالتالي كان العمل الدؤوب لانتفاء الاقتصاد لدى الشرق ، والعمل على تدهوره واغتنامه ، ومن ثم تجنيد المستشرقين لمثل هذا.

ج- وفي ظني أن هذه النظرة استدعت دراسة الاقتصاد الشرقي عموما والإسلامي خصوصا ، لأنها قطعا ستزيد في تلك الهيمنة الغربية ونظرة الاستعلاء وتقرير المغايرة بين الطرفين في نظر الغربيين ؛ وذلك لأن

---

[١]) مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون ، د / نذير حمدان ، ص٦٨ ، مكتبة الصديق ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م . الطبعة الأولى .



الاقتصاد من أكبر العوامل التي تساعد في تقرير الهيمنة وتأكيدها ، وبسط النفوذ ....الخ .

وهل يمكن لدولة لا تملك اقتصادا قويا بسط نفوذها على الغير ؟ وفي تقرير هذا السؤال وكذا تقرير الإجابة عليه يتضح مدى كم كان الاقتصاد في نظر الدراسات الشرقية دافعا قويا لتقرير تلك الهيمنة وبسط هذا النفوذ .

هذا ، وحينما يرنو المستشرقون لحدوث مثل هذه الهيمنة عن طريق الاقتصاد ، ويكون الاقتصاد الشرقي هدفا لهم في ذلك ، فيكون هذا باعثا قويا لهم ، دافعا لظهور الدافع الاقتصادي لديهم .

ثانيا : خدمة الاستعمار وتمهيد الأرض له وإخضاع الشعوب لسيطرته :

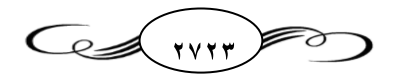
كافة المصادر والمراجع والمؤلفات التي تناولت الاستشراق ، كحركة فكرية مؤثرة ، لها آثارها السلبية والإيجابية ، أجمعت على أمر ظاهر يكاد لا يختلف عليه اثنان البتة ، وهو أن الاستشراق كان له اليد الطولي في خدمة الاستعمار الغربي ، وتمهيد الأرض له ، وتطويع البلاد لخدمته ، وهو أمر طفحت به الكتب الغربية والعربية على السواء، وكلها أجمعت على أن (الاستشراق الحديث يمثل جانبا من جوانب الإمبرالية والاستعمار معا)[١].

إن علاقة الاستشراق بالاستعمار أوضح ما تكون لذي عينين ؛ إذ هو عينه ويده ورجله و كل ما يستطيع أن يتحرك به ويستعمر ، وهذا كله له علاقة بادية بالدافع الاقتصادي ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وإذا كان الاستشراق له دوافع عدة ، وإذا كان من بينها الدافع الاقتصادي والذي تحتوي تلك الدراسة على البحث فيه ، فإن الدافع السياسي

---

[١]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص٢١٢.



كان باديا وبقوة في الاستشراق ودوافعه أيضا ، إذ (العامل السياسي هو أن المستشرقين بصفة عامة كانوا رواد الدول الغربية في الشرق ، ومن واجبهم أن يمدوهم بمددهم العلمي ، وكانوا مصادر مؤكدة للغرب يطلع بها على تفاصيل ومعلومات عن تقاليد الشعوب الشرقية وبلدان الشرق ، وعن طبيعتها ومعيشتها ، ولغاتها وآدابها ، حتى عواطفها ونفسياتها ؛ وذلك حتى يتسنى للغرب أن يبسط نفوذه وسلطته في الشرق)([١]).

ولما كان الاستشراق وثيق الصلة بالاستعمار ، فإن (الصورة الثانية من صورتي اتجاه حماية الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية : يحكيها عمل المستشرقين ، وتصوراتهم للإسلام وشرحهم لمبادئه ، وبعثهم لخلافات المسلمين الماضية ، وخلقهم خلافات أخرى لا يلتفت إليها مسلم ، بعد ما صهر الإسلام علاقته بأخيه المسلم ، وكون منها وحدة عديدة الحلقات والروابط)([٢]).

ورحم الله العلامة أ / محمود شاكر إذ يقول – واصفا تلك العلاقة وصفا دقيقا – : (وكما ترى عيانا فإن الاستشراق هو عين الاستعمار ، التي بها يبصر ويحدق ، ويده التي بها يحس ويبطش ، ورجله التي بها يمشي ويتوغل ، وعقله الذي به يفكر ويستبين ، ولولاه لظل في عميائه يتخبط)([٣]).

---

[١]) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، العلامة أبو الحسن الندوي ، ص١٩٣ ، ١٩٤ .

[٢]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، أ. د / محمد البهي ، ص٣٩ ، مكتبة وهبة ، مصر ، بدون تاريخ ، الطبعة الرابعة .

[٣]) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، أ / محمود شاكر ، ص١١٧ ، ١١٨ .



وإذا كان لابد من أدلة على هذا كله ، فإن نظرة متفحصة في تاريخ كثير من المستشرقين ، سيجد القارئ أنه كانت لهم وظائف وثيقة الصلة بالوزارات والمستعمرات الأجنبية في ديار المسلمين ، ومن هؤلاء : أ – سلفستر ([1]) :

والذي جاء فيه أنه (كان يشغل منذ ١٨٠٥م فصاعدا منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية ، وكان عمله فيها – الذي ظل بلا أجر حتى(١٨١١م) ينحصر في البداية في ترجمة نشرات الجيش الفرنسي العظيم)([2]).

ب- ماسينون : ([3]) والذي وصف بأنه (مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال إفريقية)([4]).

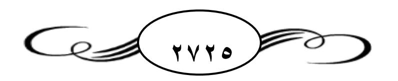
---

[1]) سلفستر دي ساسا : شيخ المستشرقين الفرنسسين . ولد في باريس في ٢١ سبتمبر ١٧٥٨ . يحيط الغموض بالكيفية التي صار بها سلفستر دي ساسي مستشرقا . اختير لعدة مناصب وزارية وسياسية ، كما منحه نابليون لقب بارون . من كتبه (النحو العربي – مقامات الحريري (تحقيق) ... وغيرهما) . توفي في ١٨٣٨ م . ينظر : موسوعة المستشرقين ، د / عبد الرحمن بدوي ، ص٣٣٤ وما بعدها.

[2]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص٢١٣ ..

[3]) مستشرق فرنسي عظيم ، ولد في (١٨٨٣ م) . وهو من بين المستشرقين في مكانة لا يضارعه فيها إلا (نيلدكه) و (نيلنو) ، . وهو قد امتاز عنهما جميعا بنفوذ النظرة وعمق الاستبطان ، والقدرة على استنباط التيارات المستورة وراء المذاهب الظاهرة . اشتهر بدراسة التصوف الإسلامي ، والآثار الإسلامية ، وكذا تاريخ النظم الاجتماعية في الإسلام ، فضلا عن دراسة الشيعة وما يتعلق بها ، وله في كل ذلك كتب ومؤلفات . توفي في (١٩٦٢ م) . ينظر : موسوعة المستشرقين ، د / عبد الرحمن بدوي ، ص٥٢٩ : ٥٣٥ . باختصار .

[4]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، أ. د / محمد البهي ، ص٥١١ .



ج- هورجرونيه ([1]) :

الذي تؤكد مصادر معتمدة أن (ضلاعته في السياسة الاستعمارية لم تقصره على أعماله ووظائفه الرسمية والقيادة المعتادة ، وإنما دفعت به إلى مغامرة فريدة – في رحلته إلى مكة المكرمة – للقيام بالأعمال الجاسوسية الخطيرة)([2]).

وغير هؤلاء كثيرون جدا ، يصعب المقام عن ذكرهم ووصف أعمالهم السياسية والاستعمارية في تلك الورقات البسيطة ، ومن كثرتهم فقد عقد بعض الباحثين جدولا مفصلا مطولا ، فيه قائمة طويلة بأسماء المستشرقين الذين خدموا الاستعمار ، وعملوا بالسياسة ([3]).

وحتى يكون الوصف لهم دقيقا ، وحتى يتم إنزال كل في موقعه ومحله، فقد قسمهم البعض إلى ثلاثة أقسام ، وهي : (١- موظفون رسميون في

[1]) مستشرق هولندي ، ولد في ٨ فبراير ١٨٥٧في مدينة بريدا هولندا . له مكانة متميزة بين المستشرقين في ميدان الدراسات المتعلقة بالإسلام : دينا وشريعة ووضعا في الحاضر . كان عالما وسياسيا في آن واحد . قام برحلته المشهورة إلى الجزيرة العربية في ١٨٨٤م . في ١٩٠٧ م عين مستشارا للحكومة الهولندية للشؤون العربية والداخلية . له من المؤلفات : (مكة – محاضرات عن الإسلام – بلاد الجابو) وغيرها كثير. توفي في (ليدن) في ٢٦ يونيه ١٩٣٦م . ينظر : موسوعة المستشرقين ، د / عبد الرحمن بدوي ، ص٣٥٣ : ٣٥٥ . باختصار مع تصرف .

[2]) مستشرقون سياسيون ، نذير حمدان ، ص٣٩ .

[3]) مستشرقون سياسيون ، د / نذير حمدان ، ص٥٥ : ص٦٧ . وقد ذكر (١٠١) مستشرقا ، من جنسيات مختلفة ، يجمعهم شيء واحد ، أنهم مستشرقون سياسيون وزراء في بلادهم .



دوائر الاستعمار– وزوارة المستعمرات البريطانية مثلا – ، يقدمون خدماتهم لحكوماتهم على نحو يخدم الأغراض المتحققة في المستعمرات .

٢– مستشارون رسميون لدوائر الاستعمار – دوائر المخابرات البريطانية والألمانية والفرنسية وغيرها – وهم من المتخصصين في دراسات الشرق والأقطار العربية .

٣– مستشرقون غير رسميين ، وغير موظفين في دوائر استعمارية مهما كان شكلها ، بل كانوا أكاديميين ، ومنهم من كان في أعلى المناصب العلمية أو اللاهوتية أو الفكرية)([١]).

ولا مرية في أن تنوعهم هذا وتعدد مهامهم واختلاف أقسامهم ، يدل على خطورتهم من جانب ، وتقرير القول بدعمهم للاستعمار الغربي من جانب آخر ، فضلا عن تأثيرهم القوي في تلك البلاد من جانب ثالث .

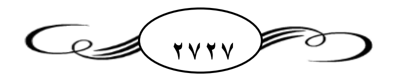
موقع الدافع الاقتصادي للاستشراق من دور المستشرقين في خدمة الاستعمار للبلاد الغربية :

إذا كانت كل المصادر قد أجمعت على القول بأن الاستشراق هو الأب الروحي للاستعمار إن صح الوصف ، فإن ذلك كان له أثره الذي لا يمكن تجاهله بحال من الأحوال ، في الدافع الاقتصادي للاستشراق ومن ثم المستشرقين على السواء .

وباستقراء ما لدى الباحث من نصوص ، يتبين جليا مدى أثر الدافع الاقتصادي في ارتباطه بتلك النقطة وثيقة الصلة بالاستعمار ، وكونها باعثا أدى إلى ظهور هذا الدافع الاقتصادي وضرورة القول به لدى المستشرقين .

---

[١]) الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر ، أ . د / عبد الأمير الأعسم ، مجلة الاستشراق ، العدد(١) ، ص٢٠ ، كانون الأول ١٩٨٧ م .



ويتضح ذلك من خلال الأمور الآتية :

أ- تقديم كافة المعلومات والخبرات عن بلاد الشرق ؛ حتى يمكن استعمارها، بما في ذلك المعلومات الاقتصادية :

حتى يتسنى للاستعمار السطو على اقتصاديات البلاد المستعمرة ، كان لابد من استخدام الاستشراق كسبيل لمعرفة ذلك والوقوف عليه ، إذ (وظيفة الاستشراق السياسية تقديم المعرفة بالأوضاع السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالبلاد الإسلامية – للقائمين على الحركة الاستعمارية في البلاد الأوروبية المختلفة ؛ وذلك لتسهيل عملية الاستعمار، وتيسير طرق التعامل مع أهل البلاد المستعمرة)([1]).

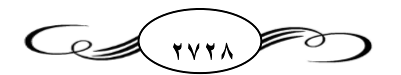
ولا ريب في أن الاقتصاد حينما يتم الوقوف عليه بشكل صحيح من قبل الاستعمار عن طريق المستشرقين ، يمكن استغلاله بشكل أكبر ، والسيطرة عليه بشكل أوضح ، وبهذا يصير هذا باعثا لظهور الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين .

ب- منع المستعمرات من استغلال اقتصادها ؛ حتى لا يمكنها التحرر والاستقلال :

لا شك أن أي مستعمر أو محتل بغيته الأولى أن يظل المستعمر تحت سيطرته ، وبالتالي فإنه يحول دون أي أسباب لا تمكنه من ذلك ، ومن تلك الأسباب تقدمه الاقتصادي ؛ حتى لا يصير له قوة أو منعة ، وهذا الذي عمل الاستشراق عليه طويلا ، وكان باعثا واضحا له مؤديا إلى

---

[1]) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، د / محمد خليفة حسن ، ص٣٧ . ، مطبوعات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م . الطبعة الأولى .



الدافع الاقتصادي ، وعلى هذا فإن (التقدم الاقتصادي بالطريقة التي تم بها في الغرب ،. لم يكن يمكن أن يحدث إلا على حساب الشعوب المستعمرة ، بنهب ثرواتها وتدمير حضاراتها وإخضاع أسواقها لمتطلبات التنمية لديه)([1]).

وإذا كان هدف المستشرقين – خدمة الاستعمار – هو البحث عن الأسباب الاقتصادية التي تظل بها البلاد المستعمرة تحت وصاية بلادهم ، فإن هذا بلا شك يصبح باعثا ومقوما رئيسيا للدافع الاقتصادي لديهم .

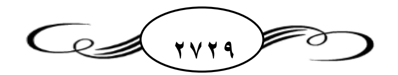
ج- كون الاستعمار مربحا ومدرا للمال :

لا يختلف عاقلان على أن الاستعمار قديما قد استفاد كثيرا من البلاد التي استعمرها ، ومن تلك الفوائد التي استفاد منها : الاقتصاد ، إذ إنه يسطو ويسيطر على الأرض والمصانع والمواد الأولية ...الخ ، وبالتالي فقد عمل الاستشراق على أن يظل الاستعمار قابعها في بلااد المشرق ، لا سيما الإسلامي منه ، فـ(مع زيادة الوطنية الإسلامية في آسيا وإفريقيا ، شاع الرأي القائل بأن المستعمرات الإسلامية كتب عليها أن تبقى تحت الوصاية الأوروبية لسببين مجتمعين : الأول أنها مربحة ، والثاني أنها متخلفة وتحتاج إلى الانضباط الغربي)([2]).

---

[1]) الاستعمار صانع التخلف – مناقشة تحليلية لكتاب : الاقتصاد السياسي والتنمية ، لمؤلفه : بول . أ . باران ، عرض : أحمد فؤاد بلبع ، مجلة : الفكر المعاصر ، ص٤١ ، العدد (٣١) سبتمبر ١٩٦٧ م .

[2]) تغطية الإسلام ، إدوارد سعيد ، ترجمة : د / محمد العناني ، ص٨٦ ، مطبوعات رؤية للنشر والتوزيع ، مصر ٢٠٠٨م . بدون تاريخ طبع .



ولكونها مربحة ، مدرة للمال ، ولها أثرها في زيادة الاقتصاد لدى تلك البلاد الغربية ، فيأتي دور الاستشراق في أنه قد (دعم الاستشراق المعرفة المؤكدة بأن أوروبا أو الغرب ، تسيطر على القسم الأكبر إلى حد كبير من سطح الأرض ، مثلما دعمت الاستشراق هذه المعرفة . فلقد تزامنت فترة التقدم الهائل في مؤسسات الاستشراق ومضمونه تزامنا دقيقا مع فترة التوسع الأوروبي الذي لا نظير له ، ففي الفترة من ١٨١٥ إلى ١٩١٤ اتسع نطاق السيطرة الأوروبية المباشرة من نحو ٣٥ في المائة من سطح الأرض إلى نحو ٨٥ في المائة منه)([1]).

هذا ، ومن خلال تلك النصوص مجتمعة ، يتقرر ثلاثة أمور هي جماع هذا الباعث ، وهي :

أ- أن الاستشراق وثيق الصلة بالاستعمار ، وهو أداة طيعة في يده بلا شك.

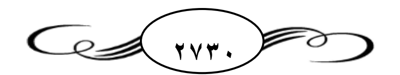
ب- أن الاستعمار كان له مآرب اقتصادية واضحة ؛ حتى يمكنه الاستحواذ على البلاد التي استعمرها بشكل أشد تمكينا له ، وهي تتنوع ما بين الاستفادة من ثروات تلك البلاد من جانب ، ومنع تقدمها واستغلال اقتصادها من جانب آخر .

ج- عمل المستشرقون على تحقيق هذه المآرب ، والدفع بالاستعمار في استغلالها والاستفادة منها ، وبالتالي فإن هذا يمثل باعثا لظهور الدافع الاقتصادي لديهم ، ومقوما رئيسيا في وقوعه وتحقيقه .

ثالثا : النظرة إلى العرب عموما والمسلمين خصوصا بأنهم قوم لا يستحقون التملك ، وأن ثروتهم يجب ألا تكون في أيديهم :

---

[1]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص٩٨ .



إذا كان الله – عز وجل – قد امتن على بلاد المشرق بثروات طائلة ، ومواد أولية كبيرة ، وأرض شاسعة يمكن استغلالها ، وكان هذا من حق تلك البلاد مادام الله تعالى قد وهبهم إياها ، إلا أن العجيب حقا أن نظرة الغرب لذلك كانت مغايرة تماما ، بل نظروا إلى تلك الثروات على أنها ليست من حق بلاد المشرق ، وأنهم (الغرب) عليهم أن يغتنموها بدلا منهم .

وتلك نظرة ظلت ردحا كبيرا من الزمان ، (إذ يظن أن العرب قوم يركبون الجمال ، إرهابيون ، أنوفهم معقوفة ، فاسقون مرتشون ، وأن ثروتهم التي يستحقونها إهانة للحضارة الحقيقية .

وخلف ذلك دائما ما يختبئ افتراض أنه رغم انتماء المستهلكين الغربيين إلى أقلية عددية في العالم ، فإن من حقهم إما أن يمتلكوا أو ينفقوا (أو أن يمتلكوا وينفقوا معا) غالبية موارد العالم)([1]).

لماذا ؟ لان المستهلك الغربي – بخلاف الشرقي – إنسان حقيقي)([2]).

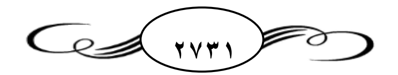
وتلك النظرة على ما فيها من استعلاء واضح من قبل الغربيين في نظرتهم للشرقيين ، إلا أنها بالفعل قد ترجمت إلى واقع ، متمثلا في الاستعمار بكل ما خلفه من آثار كثيرة ، منها الاقتصادية بلا شك .

ومن أجل تحقيق تلك النظرة من قبل الغرب ، ومن أجل إقناع الشعوب بها ، لعب الاستشراق دورا محوريا في كتاباته وتصوراته تلك ؛ حتى يمكن

---

[1]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ، نفس المرجع ، ص١٩٢ .

[2]) نفس المرجع ونفس الصفحة .



للشعوب الغربية استساغتها وقبولها ، ولهذا (فقد اعتبروا المسلمين لمدة طويلة مجرد قبيلة وثنية أخرى تنقض على العالم المسيحي)([1]).

وبناء على هذا ، وتمشيا مع تحقيق تلك النظرة الغربية ، فقد تم تصوير الشرق بأنواع من التصويرات ، وكلها ترتبط بالدافع الاقتصادي في كتابات المستشرقين ، وهي (١- تصوير الشرق العربي منبعا للخيرات ؛ لكن أهله يجهلون هذه الخيرات ، فهي من حق المتسلط ، والمتسلط هنا الأوروبي .

٢- تصوير الشرق العربي ساحرا ؛ لكن سحره كمنتزه للأوروبي ، يقضي فيه وقتا ممتعا في الرسم والحياة والكشف والبحث عن الأسرار .

٣- تصوير الشرق مليئا بالكنوز ، ويمكن ..نقل هذه الكنوز إلى أوروبا ، وهكذا فعلوا مع الآثار والمخطوطات والتحف ، وما إلى ذلك .

وبناء على هذه التصورات ، تنوع الاستشراق في البنى التي عالجها)([2]).

موقع الدافع الاقتصادي من ذلك :

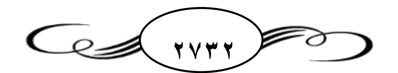
لا شك أن النص الأخير يذكر صراحة أن كتابات المستشرقين قد تنوعت في بيان هذه التصورات السابقة عن بلاد المشرق وثرواته ، وبالتالي فإن الاستشراق كانت مآربه تتمحور حول ثلاثة أمور من ذلك ، وهي :

أ- خدمة البلاد الغربية والتي ينتمون إليها بالطبع .

---

[1]) الاستشراق السياسي وتاريخه – الصراع على تفسير الشرق الأوسط ، زكاري لوكمان ، ص٦١ .

[2]) الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر ، أ . د / عبد الأمير الأعسم ، مجلة الاستشراق ، العدد (١) ، ص٢١ ، كانون الأول ١٩٨٧ م .



ب- إذكاء نار الغيرة والاستعلاء لدى الغربيين ؛ حتى يظلوا دائما ينظرون باستعلاء إلى بلاد الشرق ، لا سيما بلاد المسلمين .

ج- تصوير الشرق – في كتابات المستشرقين قطعا – على أنه مليئ بالخيرات والكنوز والثروات ، وأن الغرب من حقه أن يمتلك تلك الثروات ، بخلاف المشرق فليس من حقه ذلك .

هذا ، وإذا كان تصوير المشرق بهذه الصورة ، والوصول إلى الاستحواذ على خيراته وثرواته ، هدفا ومغزى للمستشرقين في كتاباتهم وتصوراتهم فضلا عن تصويرهم لها ، فإن هذا بلا شك يعد باعثا قويا لتحقيق ذلك والحصول عليه ، ومن ثم يصبح محققا ومقوما للدافع الاقتصادي لديهم .

المطلب الثالث : بواعث تتعلق بإقرار النظم الاقتصادية الغربية ، ومحاولة القضاء على الاقتصاد الإسلامي :

لا نزاع – إطلاقا – في أن النظام الاقتصادي الإسلامي يختلف في جملته عن النظام الاقتصادي الغربي ، هذا الذي ينبع من الرأسمالية [1]

---

[1]) الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعا في مفهوم الحرية، معتمدا على سياسة فصل الدين نهائيا عن الحياة. ولقد ذاق العلم بسببه ويلات كثيرة نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يمكن تحقيقه من السعادة للإنسان. وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض.

– كانت أوروبا محكومة بنظام الإمبراطورية الرومانية التي ورثها النظام الإقطاعي Feudal System.

– لقد ظهرت ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر الطبقة البرجوازية Bourgeois تالية لمرحلة الإقطاع ومتداخلة معها.

– تلت مرحلة البرجوازية مرحلة الرأسمالية وذلك منذ بداية القرن السادس عشر ولكن بشكل متدرج.

أسس الرأسمالية:

– البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات مثلا.

– تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.

– المنافسة والمزاحمة في الأسواق Perfect Competition.

=



الغربية ، والتي فيها ما فيها من عورات وعوار يفارق الاقتصاد الإسلامي ، الذي يتأبي على تلك النظم جميعا ، ولا ينقاد لها بحال من الأحوال .

ولما كان النظام الاقتصادي في الإسلام يضمن للمسلمين : التقدم ، زيادة الدخل ، توفير المواد ، العدل في توزيع الثروات ، التوسط في القول بالملكية الخاصة والعامة .....الخ ، وغيرها من مميزات اقتصادية ماثلة في النظام الإسلامي ، أقول : لما كان الإسلام في نظامه الاقتصادي يضمن للمسلمين ذلك ، فقد عمل المستشرقون على العمل على إزاحة هذا النظام من جانب ، وإقرار النظام الاقتصادي الرأسمالي من جانب آخر ، فضلا عن إبقاء تلك الشعوب المسلمة تحت وطأة الرأسمالية وعدم انطوائها تحت الشيوعية ([1]) ، تلك التي تنطوي على النظام الاقتصادي الاشتراكي، من جانب ثالث .

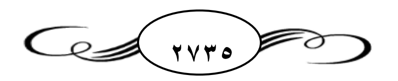
=

– نظام حرية الأسعار Price System وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب، واعتماد قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها.ينظر : الموسوعة الميسرة ، ج٢ ، ص٩٢٠ : ٩٢٥ .

[1]) الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيرا، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

=



ومن أجل هذا كله كان عملهم يتمثل في ثلاث صور رئيسية ، وعنها يتفرع أي عمل استشراقي اقتصادي يتمثل بإقرار تلك النظم ، وهي :

١- محاولة ربط الاقتصاد الإسلامي بالنظام الاقتصادي الغربي (الرأسمالية).

=
= وضعت أسسها الفكرية النظرية على يد كارل ماركس اليهودي الألماني ١٨١٨ – ١٨٨٣م وهو حفيد الحاخام اليهودي المعروف مردخاي ماركس، وكارل ماركس شخص قصير النظر متقلب المزاج، حاقد على المجتمع، مادي النزعة،

= إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات والقول بأن المادة هي أساس كل شيء وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين ، الملكية الخاصة، عليهم من الله ما يستحقون.

= فسروا تاريخ البشرية بالصراع بين البرجوازية والبروليتاريا (الرأسماليين والفقراء) وينتهي هذا الصراع حسب زعمهم بدكتاتورية البروليتاريا.

= يحاربون الأديان ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشعوب وخادما للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال مستثنين من ذلك اليهودية لأن اليهود شعب مظلوم يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة!! .

= يحاربون الملكية الفردية ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الوراثة.

= تتركز اهتماماتهم بكل ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج.

= إن كل تغيير في العالم في نظرهم إنما هو نتيجة حتمية لتغير وسائل الإنتاج وإن الفكر والحضارة والثقافة هي وليدة التطور الاقتصادي.

= يقولون بأن الأخلاق نسبية وهي انعكاس لآله الإنتاج. ينظر : الموسو عة الميسرة ، ج٢ ، ص٩٢٩ وما بعدها .



٢- محاولة ربط الاقتصاد الإسلامي بالنظام الاقتصادي الشيوعي (الاشتراكية) .

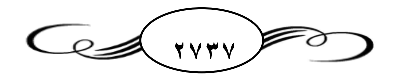
٣- محاولة القضاء على الاقتصاد الإسلامي والتغلب عليه واستنزاف ثروات العالم الإسلامي .

وتفصيل ذلك كله على النحو التالي بإذن الله تعالى وحده وتوفيقه :

أولا : محاولة ربط الاقتصاد الإسلامي بالنظم الاقتصادية الغربية (الرأسمالية) :

من أهم البواعث التي بعثت على ظهور الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين ، لا سيما الغربيين منهم ، هو نشر نظرية الرأسمالية – والمرتبطة بالاقتصاد – في بلاد المشرق ، خاصة بلاد الإسلام منها ؛ حتى يمكنهم القضاء على النظام الإسلامي الخاص بهم ، والمرتبط أيضا بالجانب الاقتصادي .

ولا ريب في أن لهذه الفكرة توابع خطيرة ، تمس الجانب النظري والتطبيقي معا ، في ارتباطهما بالجانب الاقتصادي الإسلامي على السواء ، وهنا كان عمل المستشرقين وظهور الدافع الاقتصادي لديهم ، فقد (كان الدور الاستشراقي دورا مزدوجا ، حيث جمع بين الهجوم على النظام الاقتصادي ونقده ، وبين نقل النظريات الاقتصادية الغربية ؛ لكي تكون بديلا للنظام الاقتصادي الاسلامي .



وقد اهتم مستشرقوا الغرب الرأسمالي بشرح الرأسمالية وتفسيرها لشعوب الشرق ، وتصويرها في صورة النظام الاقتصادي النموذجي للعالم الإسلامي)([1]).

وإذا كان العقل يتسائل ، لماذا يسعى الغرب ومن معهم من المستشرقين لفرض تلك النظرية الرأسمالية – والمرتبطة بالجانب الاقتصادي – في العالم ، لا سيما بلاد المشرق ؟.

تظهر الإجابة على ذلك حينما يتضح أنه (نشأت الرأسمالية بلا جدال في أوربا الغربية ، في وقت واحد في الشمال والجنوب ، وفيها تطورت خلال قرون ، ومن هناك انتشرت في بقية العالم ، غير أن هذا الانتشار كان على وجه التحديد شكلا من أشكال إخضاع العالم للغرب)([2]).

إن هذا الإخضاع يمثل الجانب الفكري ، والذي يبدوا في الرأسمالية ، مثلما سعى الغرب تماما إلى الإخضاع العملي التطبيقي ، والذي يبدو في الاستعمار بلا شك .

وقد قرر المستشرق (مكسيم رودنسون) ([3]) هذا بكل صراحة ، وأعلن أن ثلة من المستشرقين ناقشوا وضع الرأسمالية مع الإسلام ، إذ يرى

---

[1]) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الغربية ، د / محمد خليفة حسن ، ص٧٩ .

[2]) تغريب العالم ، سيرج لاتوش ، ص٤١.

[3]) مستشرق يهودي فرنسي . ولد في ١٩١٥ م – ٢٠٠٤م . لعائلة يهودية من روسيا ، جاءت إلى باريس في أواخر القرن التاسع عشر ، وكان مذهبها ماركسيا . عمل مدرسا في مدارس لبنان الإسلامية الثانوية ، ثم عمل موظفا في الإدارة الفرنسية في سوريا ولبنان . ينتمي مكسيم رودنسون إلى مدرسة الاستشراق الفرنسي اليهودي ، التي هي خطر مدارس الاستشراق كما هو معروف . من مؤلفاته (محم– (صلى الله عليه وسلم) – الإسلام والرأسمالية – الماركسية والعالم الإسلامي . وغيرها . ينظر : موسوعة =

أن(قضية العلاقة بين الرأسمالية والاسلام قد ناقشها المسلمون والمستشرقون، ورجال الاقتصاد والمؤرخون الأوروبيون معا . ولم يكن هذا نقاشا في الفراغ)([1]).

وهذا المأرب الحقيقي لنشر الرأسمالية ، يراه القارئ جيدا في كتابات المستشرقين الذين كانوا يدعون – وبكل صراحة – إلى الرأسمالية ، ونشرها في بلاد الإسلام ، ومن هؤلاء (فيليب حتى) ([2]) ، حين يقرر بأنه (يعترف بأن النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بعيدة عن بلوغ درجة الكمال ، ولكن الاتجاه يسير نحو الاصطباغ بالصبغة الغربية الكاملة ، ولا سيما ما يتعلق بالشؤون الفنية (التقنية) الاقتصادية والسياسية)([3]).

وهذا دليل واضح ، على تلك الدعوة الصريحة لاعتناق النظم الغربية، والتي منها – قطعا وبلا أي جدال – الرأسمالية.

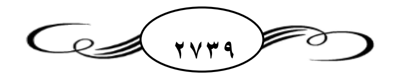
=

اليهودي واليهودية ، د / عبد الوهاب محمد المسيري ، ج٦ ، ص٤٢٩ ، دار الشروق ، مصر ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م . الطبعة الأولى .و : معجم أسماء المستشرقين ، يحيي مراد ، ص٦٠٤ ، ٦٠٥ . بدون بيانات .

[1]) الإسلام والرأسمالية ، مكسيم رودنسون ، ترجمة : نزيه الحكيم ، ص٢١ ، دار الطليعة ، بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م . الطبعة الرابعة .

[2]) فيليب حتى : لبناني الأصل ، أمريكي الجنسية ، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت ، ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا ، وعين معيدا في قسمهات الشرقي ، وأستاذا لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية . انتخب في جمعيات ومجامع عدة . من آثاره : أصول الدولة الإسلامية – السوريون في أمريكا – لبنان في التاريخ ، وغيرها .ينظر : المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ج٣ ، ص١٠١٠ ، ١٠١١ .

[3]) الإسلام في نظر الغرب ، فيليب حتى وآخرون ، ترجمة : د / موسى إسحاق الحسيني ، ص١٥ ، دار بيروت ، بيروت ١٩٥٣م . بدون رقم طبع .



وما قرره فيلب حتى ودعا إليه ، نحا نحوه المستشرق هاملتون جب ، إذ يرى (أن أنظمة الغرب السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تنقل وتنجح – أي نجاح – إلا إذا شعر الناس أنها تفي بحاجة ، ولابد أولا أن يمهد لها السبيل بنظام في التعليم يتفق معها ، ويستطيع أن يخلق الحاجة إليها ، ويكون في نفس الوقت رأيا عاما مستنيرا راقيا ، يمكن أن يوكل إليه استثمار الأنظمة الجديدة)([1]).

فلينظر القارئ إلى قوله : (.....لا يمكن أن تنقل وتنجح....) ، أليست هذه دعوة صريحة لنقل الرأسمالية ؟ ، وإذا كان قد وضع الأصول والضوابط التي تضمن نجاح الرأسمالية ، كما في قوله : (.. ولابد أولا أن يمهد لها السبيل بنظام في التعليم يتفق معها ، ويستطيع أن يخلق الحاجة إليها...) فإن ذلك دليل على مدى تغلغل هذا الأمر في نفوسهم ، حتى لم يكتفوا بالتنظير له ، بل عملوا على تطبيقه مع تضمين هذا التطبيق مبادئ النجاح.

هذا ، وحينما يضع المستشرقون نصب أعينهم نشر الرأسمالية – والمتعلقة أصلا بالجانب الاقتصادي– في بلاد الإسلام ، فإن هذا بلا شك يعد باعثا واضحا ، أدى لتكوين الدافع الاقتصادي لديهم ، وتحقيقه وظهوره.

ثانيا : محاولة ربط الاقتصاد الإسلامي بالنظام الاقتصادي الشيوعي (الاشتراكية) ([2]) :

---

[1]) وجهة الإسلام ، هـ . ر . ا . جب ، ص٣٦ .

[2]) الاشتراكية : مذهب اقتصادي وسياسي ، نادى به ماركس في القرن التاسع عشر ؛ ردا على الاشتراكية التي سماها الخيالية التي دعا إليها سان سيمون و لويس بلان وروبرت أدين وغيرهم ، حيث إنه الاشتراكية عنده ليست دعوة تقبل أو ترفض ، إنما هي =

وكما سعى المستشرقون الغربيون – والذي يدينون بالرأسمالية مذهبا اقتصاديا – ، إلى نشرها وتوزيع مبادئها في بلاد المشرق ، خاصة الإسلام منها ، فقد سعى المستشرقون الشيوعيون إلى نشر الاشتراكية ، وتوزيع مبادئها أيضا في العالم الشرقي والإسلامي منه على وجه الخصوص.

وكان دور المستشرقين بارزا في هذا المضمار ، فقد (سعى المستشرقون الشيوعيون إلى شرح النظرية الاقتصادية الشيوعية الاشتراكية ، والعمل على نشرها في البلاد الإسلامية التي وقعت تحت النفوذ السياسي والاقتصادي للاتحاد السوفييتي قبل انهياره)([1]).

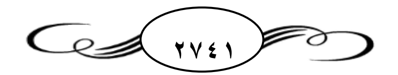
ولا نزاع في أن المستشرقين الداعين إلى الرأسمالية يطمحون إلى فوائد تعود عليهم وعلى بلادهم جراء ذلك ، فيما لو انتشرت الرأسمالية ، فإن الأمر هنا مثله تماما في الجانب الاشتراكي في نظر المستشرقين الداعين لمثل هذا .

وقد ظلت الدعوة إلى الاشتراكية أمرا ملحا متكررا لدى الداعين إليها ، والعاملين على نشرها ، فـ (الدعوة إلى القومية العربية والاشتراكية المادية – والشيوعية الماركسية أحيانا – في العصر الأخير ، ترى ظلال الفكر الغربي ، بل التعبير الغربي وارفة ممدودة على العقول العربية والأقلام

=

مرحلة حتمية ، تؤول إليها الرأسمالية بناء على تفاعل قوانين لا قبل للأفراد بمعارضتها . تقوم هذه النظرية المسماة الاشتراكية على عدة قوانين وقواعد وضعها ماركس مع صديقه إنجلز في (البيان الشيوعي) . وتسمى الاشتراكية أيضا (الماركسية) . ينظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مجموعة مؤلفين ، إشراف : د / مانع الجهني ، ص٩٦٧ ، ٩٦٨. باختصار .

[1]) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الغربية ، د / محمد خليفة حسن ، ص٧٩ .



العربية ، مسيطرة عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة)([1]).

والاشتراكية الاقتصادية لها علاقة وطيدة الصلة بالمستشرقين الداعمين لها والداعين إليها ، (فلا شك في أن الشيوعية تزود المستشرقين بموضوع جذاب من الفرضيات)([2]).

إن هذه الفرضيات التي أشار إليها النص ، تفتح للعقل – في النظر الاستشراقي الاشتراكي – آفاقا رحبة للتخيل ، وتوسعة الدعوة لنشرها ، والعمل على التمذهب بها ، وتمذهب الناس أيضا بها .

وإذا كان هذا التعميم – في النظرة إلى المستشرقين – لا يعطي نفعا بشكل أوضح ، فإن الأدلة على مثل تلك الدعوة من المستشرقين إلى مذهب الاشتراكية الاقتصادي أوضح ما تكون في هذا الباب ، ومن هؤلاء المستشرق (مكسيم رودنسون) ، إذ يدعو إلى الاشتراكية الشيوعية صراحة، فقد كان هذا المستشرق اشتراكيا من الطراز الأول ، إذ يرى أن تعاليم الإسلام لم تكن (عقبة دون الاتجاه إلى الاشتراكية)([3]).

ثم يبدي هذا المستشرق إعجابه بمؤسس الاشتراكية الأول : ماركس ([4]) ، ويعطي أسبابا واضحة للإعجاب به ، إذ يقول : (ولئن كانت هناك

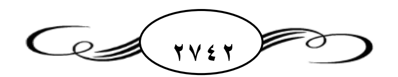
---

[1]) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، أبو الحسن الندوي ، ص١٣١ .

[2]) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، د / عبد اللطيف الطيباوي ، ص٧٤ .

[3]) الإسلام والرأسمالية ، مكسيم رودنسون ، ص١٦٦ .

[4]) ماركس، كارل (١٨١٨–١٨٨٣م). فيلسوف ألماني واجتماعي وثوري محترف.كان المؤسس الرئيسي لحركتين جماهيريتين قويتين هما: الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الثورية. له كتب ، منها : البيان الشيوعي (بالاشتراك) – رأس المال
=



أسباب كثيرة تدعو إلى الاعجاب بماركس ، فأهمها في نظري هو كونه – وهو الفيلسوف في الأصل– قد أدرك أن عليه – لكى يستطيع وضع نظريات وثيقة الدعائم بشأن التطور الاجتماعى – أن يقضى عمره في دراسة الاقتصاد السياسي والتاريخ الاجتماعى ، وما نسميه اليوم علم الاجتماع والعلوم الإنسانية ، وهو قد فعل ذلك)([1]).

وفي دراسته للنظام الإسلامي في الاقتصاد ، وبعد دراسة له في هذا المضمار ، يستخلص من الوقائع التي وصل إليها البحث العلمي – في نظره – قائلا : (لكني بصورة رئيسية حاولت أن أستخلص من تلك الوقائع أحكاما على صعيد القضايا العامة ، ولا سيما تلك التى بدت لى ذات أهمية خاصة ، أين يمكن أن يكون موضع العالم الإسلامي) في مختلف مراحل تاريخه (من السمات العامة لأنظمة إنتاج السلع وتوزيعها)([2]).

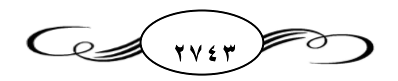
إن تلك الدراسة التي قام بها (مكسيم) حول استقصاء الجوانب – التي يرى في نظره – أنها دعوة من الإسلام إلى الاشتراكية ، ومن ثم دعوة المسلمين إلى الأخذ بها ، وفضلا عن كونه مستشرقا معجبا بمؤسس الاشتراكية الأول ماركس ، وفضلا أيضا عن كونه قد قام بدراسة يحاول أو يزعم فيها تقارب الاشتراكية من الإسلام ، فإن المحصلة الرئيسية لهذا

=

وقد هوجم ماركس لأنه ثار ضد المجتمعات المستقرة كافة، ولكونه كاتبا متعجرفا احتقر منتقديه، وبسبب آرائه المتطرفة. وقد دلت التجارب على فساد نظريته وكونها مدمرة لسعادة الفرد والمجتمع. ينظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، ص٢٩٦٥ .

[1]) الإسلام والرأسمالية ، مكسيم رودنسون ، نفس المرجع ، ص١٨ .

[2]) نفسه ، ص١٤ ..



الكتاب أنه (في آخر المطاف دعوة يوجهها المؤلف إلى المسلمين للأخذ بالاشتراكية ، يوجهها إليهم كمسلمين)([1]).

ومثلما فعل (مكسيم رودنسون) ودعا إلى مذهبه الاشتراكي ، في صورة دعوة استشراقية واضحة ، فعل ذلك أيضا (بول باران)([2]) ، إذ (يرى باران أن إقامة اقتصاد اشتراكي مخطط شرط ضروري – ولا غنى عنه – لتحقيق تقدم اقتصادي واجتماعي في هذه البلاد)([3]).

والسؤال الآن ، إذا كان هؤلاء المستشرقون يهدفون إلى توزيع ونشر الاشتراكية كمذهب اقتصادي ، وإذا كانت تلك الدعوة منهم موجهة في الأصل إلى بلاد الشرق ، أليس هذا يعد باعثا واضحا ، أدى إلى تكوين الدافع الاقتصادي لديهم ؟ لكن في جانبه التنظيري ؟.

ثالثا : محاولة القضاء على الاقتصاد الإسلامي والتغلب عليه واستنزاف ثروات العالم الإسلامي :

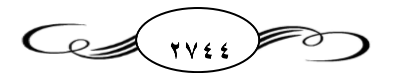
يأتي هذا الباعث كتتمة القول ، والنهاية التي يسعى المستشرقون إلى تحقيقها ، والتتويج الذي يريدون أن يتوج مسعاهم به ، فهو الغاية العظمى ،

---

[1]) مقدمة كتاب : الإسلام والرأسمالية ، مكسيم ردنسون ، ص٧ .

[2]) اقتصادي واشتراكي أمريكي ، شغل منصب أستاذ عام الاقتصاد في جامعة ستانفورد الأمريكية ، من عام ١٩٤٩م حتى وفاته في عام ١٩٦٤م ، ويعد أحد العلماء الاجتماعيين الاشتراكيين القلائل ، الذين قاموا بالتدريس في جامعة أمريكية كبيرة . ينظر : مجلة : الفكر المعاصر ، ص٤٣ ، العدد (٣١) سبتمبر ١٩٦٧ م .

[3]) الاستعمار صانع التخلف – مناقشة تحليلية لكتاب : الاقتصاد السياسي والتنمية ، لمؤلفه : بول . أ . باران ، عرض : أحمد فؤاد بلبع ، مجلة : الفكر المعاصر ، ص٤٣ ، العدد (٣١) سبتمبر ١٩٦٧ م .



والهدف الأكبر ، والمقصد الأسمى – في نظرهم – الذي ترنوا أنظارهم وجهودهم إليه.

إن جملة المصادر والمراجع العربية الإسلامية وحتى الغربية ، تكاد تجمع على هذا الباعث لدى المستشرقين ، وكونه خاتمة المطاف بالنسبة لهم ، وأعنى بذلك أنه الغاية التي ليس بعدها غاية لديهم ، وإثباتا لهذا فإنه (تشير الكثير من المصادر أن المستشرقين لهم إسهامات واضحة في مساعدة العالم الغربي على رسم سياسة اقتصادية تستهدف استنزاف ثروات الشعوب الشرقية ، واستمرارية اعتمادها على ما تنتجه المصانع الغربية ، فالدراسات الاستشراقية عملت على كشف العقلية الشرقية ، من جميع جوانبها : الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية)([1]).

وتتبع طرق المستشرقين في ذلك يتضح أنها كانت محكمة ، منظمة ، مخطط لها ، إذ هو غايتهم التي إليها يسعون ، ومقصدهم الذي من أجله يعملون .

وهل كل ما سبق : مما يتعلق بالتجارة والأسواق والمواد الأولية ، فضلا عن الهيمنة الغربية وتوابعها ، ثم محاولات إدخال النظم الغربية الاقتصادية في العالم الشرقي الإسلامي ، إلا تحقيقا لهذا الهدف ، وهو القضاء على الاقتصاد الإسلامي ، واستنزاف ثرواته ، ونهب خيراته ؟.

إن ثمة أسبابا رئيسية جعلت من الغرب – ومن ثم المستشرقين – يتخذون هذا الموقف من ثروات العالم الإسلامي واقتصاده ، وأوضحها بلا

---

[1]) الاستشراق – أهدافه ووسائله – دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون ، د / محمد فتح الله الزيادي ، ص٤٥ ، دار قتيبة ، بدون اسم البلد ، ١٤٢٦هـ – ١٩٩٨م . الطبعة الأولى .



شك ، هو استشعار خطر العالم الإسلامي على تلك البلاد الغربية ، فـ (الشرق العربي والإسلامي وحده هو الذي كان يمثل لأوروبا – بصفة عامة – تحديا لم يحسم على المستويين السياسي والفكري ، وعلى المستوى الاقتصادي أيضا لفترة ما .

وإذن فإن جانبا كبيرا من تاريخ الاستشراق يحمل في داخله طابع الموقف الأوروبي المشكل إزاء الإسلام)([1]).

وفحوى هذا النص ودلالاته قاطعة بوضوح على ما يرنو الباحث لإثباته ، ويتمثل هذا في النقاط التالية :

١- إن الاستشراق يحمل نفس ما تحمله النظرة الأوروبية للإسلام والشرق العربي عموما ، تلك النظرة التي ترى في الإسلام شيئا ما ، وهو ما يكون في النقطة التالية :

٢- ترى فيه تلك النظرة تهديدا لها ، ولمصالحها وقوتها ، فترى فيه خطرا عليها ، فلابد من محاربته على جميع الأصعدة التي تفوق الإسلام على أوربا فيها ، ومن ضمن تلك الجوانب والأصعدة ..

٣- الجانب الاقتصادي ، حيث مثل الإسلام فترة ما – كما يشير النص – على تفوقه على أوربا في هذا الجانب ، فلابد من التغلب عليه فيها ، وعرقلته في أقل تقدير ، ومن ثم دراسة هذا الجانب دراسة جيدة ، ومعرفة كوامنه ، ومقوماته ، وعوامل صعوده ، ومن هنا كان الاستشراق باحثا في الجانب الاقتصادي في الإسلام .

وحتى لا يكون هذا ضربا من الأوهام ، أو حدسا من الأخيلة بلا أدلة ؛ وحتى لا يكون افتائتا على المستشرقين ، أستشهد هنا بقول مستشرق

[1]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص١٤٣ .



مشهور ، هو (جوزيف شاخت) ، إذ يقرر هذا صراحة ، ويبين أن العالم الإسلامي لديه المقدرة الحقيقة على التقدم متى توفرت له الشروط ، حيث يرى أنه حينما (تنظر إلى بلاد الشرق الإسلامي باعتبارها مجتمعات متطورة قادرة على التقدم ، إذا ما توافرت الشروط الملائمة ، وهذه الصور تتمثل أساسا لدى رجال السياسة والفنيين والاقتصاديين حيثما كانت الظروف ملائمة نوعا ما)([1]).

إن النص تظهر منه – وبكل وضوح – رائحة الخوف والتوجس من العالم الإسلامي ، من تقدمه وتطوره وتمثيله تهديدا على أوروبا ، ثم لينظر القارئ كيفية الربط بين هذا التوجس وحال رجال الاقتصاد لدى الغرب ، ومدى تقديرهم لذلك .

ومثل المستشرق (جوزيف شاخت) في تقريره تلك الحقيقة ، ذهب أيضا (بول باران) ، إذ يرى أن (السيطرة الأجنبية كانت – وما تزال – من الأسباب الأساسية (باستثناء أوروبا الوسطى واليابان) في وجود أقلية ، صاحبة امتيازات اقتصادية وسياسية في كل البلدان المتخلفة ، والتي تستفيد حتى من ظروف التخلف نفسها)([2]).

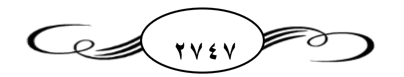
هذا ، ومن خلال تلك النصوص بنوعيها (العربي والغربي) ، تتضح عدة أمور لابد من الإشارة إليها ، والتنويه عليها ، وهي :

أ- تكاد تجمع تلك النصوص قاطبة على أن نظرة الغربيين إلى الاقتصاد الإسلامي برمته ، إنما هي قائمة على محاولات : الإبعاد ، الإقصاء ،

---

[1]) تراث الإسلام ، جوزيف شاخت وآخرون ، ص٦٧ .

[2]) الاقتصاد السياسي للتخلف وأسباب التخلف الأساسية ، بول باران وايف لاكوست ، ص٦٠ .



الإنهاء ، الخوف ، والريبة ، التوجس ، ومن هنا كانت المحاولات المستميتة للقضاء عليه.

ب- وبنفس هذا الإجماع الذي تطبق عليه تلك النصوص ، يتضح الدور البارز للمستشرقين في تحقيق هذا ؛ إذ لهم الدور البارز في ذلك ، وهو ما نصت عليه نصا صريحا النصوص العربية آنفة الذكر ، وقطعت به نصوص بعض المستشرقين السابقة أيضا .

ج- يتضح دور المستشرقين في هذا المضمار في عدة صور رئيسية ، إذ إن لهم : التوجيه ، التخطيط ، الدراسة ، البحث ، الكشف عن العقلية ، الوقوف على الاقتصاد الإسلامي ...الخ ، مما يسهل تلك العملية بالنسبة لهم.

د- وحينما يكون القضاء على الاقتصاد الإسلامي هدفا ومرمى للمستشرقين ، وحينما يبعثهم هذا على تحقيقه وإيقاعه ، فإنه بلا شك يصبح باعثا قويا واضحا ، يؤدي في النهاية إلى ظهور الدافع الاقتصادي لهم .

المبحث الثاني :

أنواع الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ،

ويحتوي على

مقدمة ومطلبين :

المطلب الأول :

دافع اقتصادي من حيث الموارد الاقتصادية .

المطلب الثاني :

دافع اقتصادي من حيث كونه فرديا أو جماعيا .



مقدمة

لم يكن الدافع الاقتصادى لدى الاستشراق ومن ثم المستشرقين على وتيرة واحدة أو نمط واحد فقط ، بل تعدد إلى أكثر من نوع ، وجاء بأكثر من وتيرة ، وتفرع إلى أكثر من فرع ، مما يدل على مدى تغلغله في نفوس المستشرقين ، ومدى أخذهم به ، ثم مدى أثره الواسع المتعدد والمتشعب بناء على هذا التعدد في تلك الأنواع أيضا.

ويأتي الدافع الاقتصادي للاستشراق ما بين دافع معتمد اعتمادا كليا على موارده ، أعني المجال الزراعي والصناعي والتجاري ، وآخر يعتمد على كونه فرديا يقوم آحاد المستشرقين به ، وآخر جماعي ينطبق على مجموعهم من جانب ، ودوافع حكوماتهم من جانب آخر .

وهذا كله على النحو التالي بفضل الله تعالى وحده وتوفيقه....

المطلب الأول : دافع اقتصادي من حيث الموارد الاقتصادية .

لا شك إطلاقا أن كل اقتصاد له موارد تغذيه وتنميه وتعمل على زيادته وتدفقه وعدم انقطاعه ، وهذا ينطبق بطبيعة الحال على الدافع الاقتصادي الذي رام المستشرقون إلى التكسب من ورائه واغتنام خيراته من بلاد الشرق .

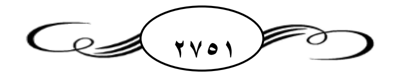
وتنقسم تلك الموارد المتعلقة بالدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والقائمين به وعليه (المستشرقين) إلى :

أ- الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق المتعلق بالمجال الزراعي .
ب- الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق المتعلق بالمجال الصناعي.
ج- الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق المتعلق بالمجال التجاري .
وتوضيح ذلك كله وبيانه وتفصيله ، وإقامة الأدلة عليه من كتب و مؤلفات المستشرقين أنفسهم ، على النحو التالي بإذن الله تعالى .

أولا : الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق المتعلق بالمجال الزراعي :

إذا كان المجال الزراعي موردا مهما من موارد الاقتصاد كما هو معروف ، وإذا كان من دوافع الاستشراق الدافع الاقتصادي كما هو معلوم ، وكما هو خطة تلك الدراسة ، فإن هذا كله لا يعني أن المستشرقين قد اشتغلوا بالزراعة وعلائقها وما تتطلبه ، من نحو حرث وري وزراعة ....الخ، ليس هذا هو المقصود إطلاقا ، ولكن المقصود أنهم كانوا سببا في أمرين يتعلق بالمجال الزراعي ، وهما :

أ – الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالمعلومات والبحوث الزراعية .



ب- العامل الاقتصدي الزراعي لدى المستشرقين فيما يتعلق بالمواد الأولية الزراعية .

فأما دراساتهم الاستشراقية المتعلقة بهذا المجال ، فهي أوضح ما تكون في هذا الباب ، فقد جاءت دراساتهم تدور حول كل ما يتعلق بالزراعة في الإسلام ، حيث : اعتماد الدولة الإسلامية عليها من عدمه ، وكذا تقدم الزراعة في الإسلام أو انتفاء ذلك ، فضلا عن أسباب هذا التقدم إن وجد أو أسباب عدمه إن كان ، وغيرها من أمور أخرى كثيرة تطرق إليها المستشرقون الذي اهتموا بهذا المنوال .

ويأتي على قائمة هؤلاء المستشرقين (هاملتون جب) ، الذي كانت له دراسات متعددة في هذا المجال ، ومن هذا البحث في (المظاهر الاقتصادية للمجتمع الزراعي ، والطرق الأساسية والأساليب والتنظيم الزراعي (بما في ذلك نظام الري) وطبيعة نتاج المحاصيل ، وطرق التخلص من الفائض ، وتنظيم أسواق القرية والمعارض الدورية ، واستخدام الوسائل الحديثة ، والتطور في وسائل النقل والتسويق ، ونظام التصريف والمصارف ، ونشوء المشاريع التعاونية ، وتطور الثقافة القروية ، وتأثير كل ذلك على القرية والاقتصاد الريفي)([1]).

والذي يبدو من هذا النص – وبقوة – هي تلك النظرة الشمولية التي أولاها هذا المستشرق لذلك المجال الزراعي ، إنها نظرة أحاطت بكثير من الأمور المتعلقة بالزراعة ، ومدى استفادة القرية في الإسلام منها ، ثم مدى استفادة الاقتصاد في الإسلام – ككل- منها أيضا .

[1]) المجتمع الإسلامي والغربي ، هاملتون جب وآخرون ، ج١ ، ص٤٩ .



إن هذه النظرة الاستشراقية لم تقف عند حد حاضر المجال الزراعي ومدى تأثيره في الإسلام في الوقت الحالي ، أعني هذا الوقت الذي قام به بعض المستشرقين بتلك الدراسات حول نظام الزراعة في الإسلام ، إلا إن دراساتهم تلك امتدت لتضرب جذورا في عمق التاريخ ؛ ليرى كيف استفاد الإسلام من هذا المجال ، ومدى تأثيره عليه .

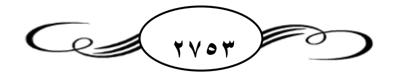
وممن قام بهذا المستشرق (جوزيف شاخت) ، حيث يقول : (لقد حاولت آنفا أن أدرج بصورة مبدئية البنود الرئيسية للتراث الزراعي الذي تركه الإسلام لجنوب أوروبا ، على أن هذه المحاولة لن تكون لها فائدة تذكر، إلا إذا أمكن الحديث عن الأهمية التاريخية لهذا التراث)([1]).

وما الذي يرنوا إليه هذا المستشرق من تلك الأهمية التاريخية إلا الاستفادة منها ، وتطبيق ذلك على المجال الزراعي لديهم ؟ وإلا فإن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة ، هل تلك الدراسات جاءت بغير غاية ؟ والجواب كلا، إن الغاية العظمى منها هو الاستفادة من ذلك ، ومدى تطبيق ذلك على النظام الغربي هناك .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تطرق عمل المستشرقين في بحوثهم فيما يتعلق بالمجال الزراعي إلى ما هو أبعد من هذا ، حيث العمل على اكتشاف الأيدي العاملة في هذا المجال ، والوقف عليها ، ومدى تسخيرها لنظام الزراعة في العالم الغربي ، فـ(مع اكتشاف العالم الجديد والفرص الجديدة الضخمة للربح التي فتحها ، اتسعت التجارة في البشر

---

[1]) تراث الإسلام ، جوزيف شاخت ، ص٢٤٩ .



المستعبدين ، واستغلالهم في الإنتاج الزراعي ، وفي أعمال أخرى بدرجة أقل، على نطاق غير مسبوق)([1]).

ومع أن النص لم يذكر المستشرقين صراحة في هذا المجال ، إلا أن هذا كان متعلقا بهم من ثلاثة وجوه ، فيما يبدوا للباحث ، وهي :

الأول :أن النص مذكور صراحة في مجال الاستشراق ، كما هو مشار إليه في مرجعية النص.

الثاني : أن المستشرقين لما كانوا أكثر احتكاكا بالشرق ومعرفة به ، فهم أولى من غيرهم في هذا المجال ، وعلى هذا فهم أعرف بمن يمكن استخدامهم في هذا المجال .

الثالث : أن هذا من المنظومة المتكاملة – إن صح التعبير – في مجال الاستعباد الذي يتخذه الاستعمار سبيلا له ، وكما مر سابقا مدى العلاقة بين الاستعمار والاستشراق ، وكيف أن الاستشرق هو السبيل لمعرفة بلاد الشرق ، وتذليل ذلك للمستعمر .

هذا كله متعلق بالأمر الأول ، وهو تلك الدراسات الاستشراقية التي تناولت المجال الزراعي في الإسلام .

أما الأمر الثاني ، وهو مدى استفادة المستشرقين من المواد الأولية الزراعية في هذا المضمار فهي لها أيضا من الدلائل ما يدل عليها ويؤدي إليها .

لقد سبق القول أن المستشرقين كانوا سببا رئيسيا في البحث عن المواد الأولية والاستفادة منها ، وتسخير ذلك كله للغرب ، فقد سبقت الإشارة

---

[1]) تاريخ الاستشراق وسياساته – الصراع على تفسير الشرق الأوسط ، زكاري لوكمان ، ص١١٠ .



إلى أنه (كان على الأوربيين أن يتعرفوا على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ، ويمكن أن تكون أسواقا مفتوحة لمنتجاتهم ، فكان الشرق الإسلامي والدول الإفريقية والأسيوية هي هذه البلاد ، فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ، ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها)([١]).

ولا مرية في أن المواد الأولية الزراعية تدخل ضمنا في تلك الثروات الطبيعية ، وكم كان هو الدور الذي لعبه المستشرقون في إيضاح ذلك لبلادهم الغربية ، عن طريق تلك الدراسات التي أفنوا أعمارهم فيها .

إن تشكيل المواد الخام الزراعية ، والاستيلاء عليها ، هو الدور المنوط بالبلاد المشرقية ، ليس عن طريق أحد إلا عن طريق المستشرقين ، فقد (مال نظام السلطة السياسية والاقتصادية الجديد بشكل متزايد ...إلى تحديد دورين لمعظم العالم غير الأوروبي : توفير المواد الخام الزراعية والتعدينية للاستعمال أو المعالجة في أوروبا الغربية ، واستهلاك السلع المصنعة النهائية التي تصدرها أوربا)([٢]).

ومن ذا الذي ناط بنفسه دراسة غير البلاد الأوروبية غير المستشرقين ؟ إذ لو كان غيرهم لكانت المسألة مترددة بينهم وبين غيرهم ، فلما لم يكن ثمة غيرهم وقع التحديد عليهم لا محالة .

هذا ، ولعل سؤالا يطرح نفسه بذلك الصدد ، وهو لماذا هذا الاهتمام بتلك الدراسات فيما يخص المجال الزراعي من قبل المستشرقين ؟ وهل هذا له تأثير على العالم الغربي فيما يرنو إليه المستشرقون؟.

---

[١]) الاستشراق – الأهداف والغايات ، عبد العالي أحمامو ، مجلة دراسات استشراقية ، السنة الخامسة ، العدد (١٤) ، ١٤٣٩هـ – ربيع ٢٠١٨م ، ص١٥٠ .

[٢]) تاريخ الاستشراق وسياساته ، زكاري لوكمان ، ص١١١ .



والجواب على هذا السؤال – فيما يبدو للباحث – يتلخص فيما يلي :

١- إن تلك الدراسات تأتي ضمن هذا السياق الواسع الذي يتخذه المستشرقون لدراسة الإسلام في كل ما يخصه ، فهي نظرة ذات شمول لما يقومون به ، فلم يأخذوا جانبا وتركوا جانبا آخر ، بل أخذوا كل ما يختص بالإسلام الحنيف ، وهذا واضح بفضل الله تعالى.

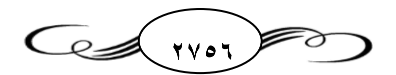
٢- إن المجال الزراعي يأتي كمقوم رئيسي للاقتصاد عموما ، وبالتالي تأتي دراسة هذا المجال من قبل المستشرقين للوقوف على هذا المقوم ، ودراسته ، والبحث في عوامل تقدمه ، ثم محاولة الاستفادة منها وتنزيل ذلك على عالمهم الغربي هناك .

٣- إن بلاد المشرق تتفوق – نسبيا – على الغرب في مساحة الرقعة الزراعية ، حتى وصفت كثير من بلاد المشرق بأنها بلاد زراعية ، وبالتالي حاول الاستعمار – أثناء تواجده في تلك البلاد- أن يستغل ذلك لصالحه ، فكان المستشرقون بابه في دراسة ذلك والاستفادة منه .

٤- قد يأتي سبب رابع لذلك ، وهو أن الإسلام – أثناء وقوع أوروبا في ظلامها في العصور الوسطى – كان متقدما عليها في جميع الجوانب ، ومنها الجانب الزراعي بلا شك ، فحاول المستشرقون دراسة ذلك حتى يمكن الاستفادة منه في الغرب هناك.

٥- وتأتي تلك الدراسات الاستشراقية في مجالها الزراعي ، كتكملة لكشف العقلية الشرقية من جميع جوانبها من قبل المستشرقين ، ويأتي هذا المجال جانبا من تلك الجوانب.

٦- وتتمتع الزراعة أيضا بامتلاكها مواد خام كما سبقت الإشارة إليه ، وتلك المواد الخام تدخل في صناعات كثيرة ، فكانت الحاجة ملحة لمعرفتها



واستغلالها والاستفادة منها في الصنعات الأوروبية التي كانت تنحو نحو التقدم آنذاك .

٧- ولعل سببا آخر يمكن أن يضم لتلك الطائفة من الأسباب ، وهو كما أشار نص سابق ، أن الأوروبيين كانوا في حاجة ماسة لأيدي عاملة في المجال الزراعي عندهم ، فكان الأمر محتما كشف جوانب الحصول على تلك الأيدي والاستفادة منها ، ولا أعرف بذلك من غير المستشرقين ؛ إذ هم الدراسون لتلك المناطق ، والمجاورن لأهلها ، والمتتبعون علومها وآدابها وعاداتها ، فكان ذلك دافعا لدراسة هذا المجال الزراعي من قبل المستشرقين.

من خلال تلك الأسباب قاطبة ، يتضح كم كان المجال الزراعي هاما لدى المستشرقين ، وكم كان موردا مهما لهم ولبلادهم ، ثم كم كان مقوما رئيسيا لتقدم اقتصاد تلك البلاد عن طريق الاستعمار كما هو معروف.

ثانيا : الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق المتعلق بالمجال الصناعي :

كان من الطبيعي بعد هذا الاهتمام من المستشرقين بالمجال الزراعي ، أن يكون اهتمامهم منصبا أيضا على المجال الصناعي ؛ إذ هو عماد التقدم ، ورفعة الاقتصاد ، وأساس كل نهضة كما هو معلوم .

وما كان متمثلا في المجال الزراعي ، كان ماثلا أيضا في هذا المجال الصناعي ، حيث الدراسات التنظيرية للصناعة في بلاد الإسلام من قبل المستشرقين ، ومحاولة الوقوف على أسباب تقدمها إن كانت .

ويأتي المستشرق (هاملتون جب) ليدرس هذا الأمر أيضا ، إذ يقول : (يجب أن يكون الموضوع الأول في دراستنا هو الوحدة الصناعية : أي المصنع : بتنظيمه وإدارته وتجهيزاته والأشكال المتنوعة للمشاريع الصناعية .....ثم يأتي توزيع المنتجات ، وكل المظاهر الاجتماعية للحياة الصناعية : كتنظيم الفئات والمؤسسات الصناعية ، وطرق التوظيف ،



والسلطة الداخلية ، والحالة الاجتماعية وعلاقاتها بالمجموعات الأخرى والسلطات الإدارية – وخصوصا المجتسب – والاحتكار الحكومي ، ونظام التوزيع الضرائب)[1].

وحينما يمعن القارئ في هذا النص ، فإن المرء ليعجب كم كان هذا الدافع المتعلق بالصناعة حافزا لقيام تلك الدراسات من قبل المستشرقين ، إنهم لم يتركوا شيئا يتعلق بهذا المجال إلا كتبوا فيه وأحاطوا به وسبروا أغواره ، مما يدل على أهميته في نفوسهم ومدى تعلقهم به.

وإذا كان ذلك تنظير قام به هذا المستشرق ، فإن جمهرة من المستشرقين راحوا يطبقون ذلك فعليا ، وكانت المصانع الغربية قبلتهم وغايتهم ، في كونها تنتج والعالم الشرقي يستهلك ، فـ (من الدوافع التي حرضت كثيرا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية ، رغبتهم بغزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا ، يهدفون فيه للاستيلاء على الأسواق التجارية ، والمؤسسات المالية المختلفة ، والاستيلاء على الثروات الأرضية ، واستغلال الموارد الطبيعية ، والحصول عليها بأبخس الأثمان ، وإماتة الصناعات المحلية القديمة ؛ لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية)[2].

فتحصل من ذلك كله ، أن الهدف الاقتصادي الصناعي للاستشراق كان متمثلا في ثلاثة أمور :

---

[1]) المجتمع الإسلامي والغرب ، هاملتون جب ، ص٥٠ .

[2]) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ص١٣٠ .



الأول : الحصول على الموارد والثروات الطبيعية التي هي عماد الصناعات الحديثة .

الثاني : إماتة الصناعات الإسلامية المحلية ؛ لتتجه الأنظار نحو الغرب وصناعته ، فيكثر الطلب عليها ، وتعوز المسلمين الحاجة إليها ، مما يزيد في اقتصادهم ويضعف المسلمين فيه .

الثالث : يترتب على ذلك كله إضعاف الصناعة والاقتصاد في بلاد الإسلام ، فيتحقق المراد لهم ، ويقطعوا بما طلبوه لديهم.

ولا شك أن تلك الأمور الثلاثة هي عين ما يرنو إليه المستشرقون في قيام صناعات بلادهم على حساب الصناعات الشرقية ، التي كانوا يحاولون إماتتها بكل السبل وشتى الطرق.

إن هذه الإماتة لتلك الصناعات في بلاد الشرق ، هي السبيل لفرض الهيمنة الغربية ، وتكريس قوتها ، واستمرارية خضوع الشرق للغرب بدون أي محاولات للخروج أو الإفلات منها ، فلقد شهد القرن (١٩) تحولات عديدة اقتصادية واجتماعية وثقافية، حيث كان عصر تغيات بامتياز . فقد نشأت الثورة الصناعية متشابكة مع ترسخ الدولة القومية خاصة بعد نهاية الحروب النابليونية . طبيعة الدولة ذات السيادة المدعمة باحتياجات ثورة صناعية ... أنتج منطقا رأسماليا يحتاج لترسيخ وجوده إلى مواد أولية ومجال حيوي لتصدير البضائع . وضمن هذه السياقات يمكن لنا أن نفهم تأسيس المستعمرات الأوروبية في أجزاء واسعة من العالم، وخاصة في القارة الإفريقية ([1]).

---

[1]) ينظر : الاستشراق والمرايا المقعرة والمحدبة – الحقل العلمي وأضداده ، محمد البشير رازقي ، ص ٢٠٨ ، مجلة دراسات استشراقية ، العدد (٢٨) ١٤٣٣هـ – =

ومن هذا النص يتضح جليا مدى العلاقة بين الاستشراق في دراساته حول المجال الصناعي ، كمقوم اقتصادي بارز ، وبين الاستعمار وفرض السيادة الغربية على الشرق ، وكم هو دور المستشرقين في ذلك .

وثمة سبب أخر دفع المستشرقين إلى دراسة هذا المجال الصناعي والتوسع في البحث فيه ، ألا وهو تلك العلاقة الواضحة بين الصناعات الغربية ومحاولات تفريغها في السوق الشرقية ، فـ (النتيجة النهائية للمنافسة بين الصناعات المحلية المختلة إلى حد ما ، وبين الجهود المنظمة للاستيلاء على السوق الشرقي لتصريف نتاج المصانع الأوروبية ، هذه النتيجة لم تكن محلا للريب طويلا ، وربما كان فتح تجارة النقل إلى أوروبا مباشرة ، مما بعث نشاطا مؤقتا في بعض الصناعات الوطنية ، ولكن جلب البضائع إلى الشرق ، كان لابد مؤديا آخر الأمر إلى تأخرها والقضاء عليها)([١]).

من خلال هذا كله ، يتضح ثلاثة أمور هي غاية في تقرير المراد ، وهي :

أ- أن المستشرقين كان لهم اليد الطولى في تعريف الغرب بصناعات الشرق ، فضلا عن الوقوف على الأسواق الشرقية التي تستقبل تلك الصناعات الغربية.

=

خريف ٢٠٢١م . نقلا عن :. التخلف واقتصاده السياسي، أمية كوماrباغشي ، ترجمة : عبد الكريم محفوظ ، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 1988 ، ص . 162 – 61 إريك هوبزباوم، عصر الإمبراطورية) 1914 – 1875 (، ترجمة :فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2011 ، ص 121 .

[١]) وجهة الإسلام ، هـ – ر . ا . جب ، ص٢٣ .



ب- فرض الهيمنة ، وتوسيع الإمبراطوريات ، وتقرير الاستعباد ، كان حافزا رئيسيا لنشوء هذا الدافع الاقتصادي المتعلق بالمستشرقين ، عن طريق علاقتهم القوية جدا بالاستعمار.

ج- نشر وتوزيع الصناعات الغربية ، وفي المقابل إماتة الصناعات الشرقية وإغراقها بالصناعات الغربية ، كل هذا عمل المستشرقون على تحقيقه وتقريره والانطلاق منه والدراسة فيه والبحث عنه .

ولا ريب في أن تلك الأمور الثلاثة إذا جال فيها المستشرقون وصالوا ، ودفعتهم للبحث فيها ، وعملوا على تقريرها ، فإن هذا كله يعد دافعا قويا مؤديا للدافع الأقوى لديهم ، وهو الدافع الاقتصادي ككل .

ثالثا : الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق المتعلق بالمجال التجاري :

يأتي المجال التجاري في تعلقه بالدافع الاقتصادي لدى الاستشراق كخاتمة المطاف ، ونتيجة الأفعال ، وغاية المراد ؛ إذ عن طريقه يكون التتويج للجهود في المجال الزراعي والصناعي على السواء ، فمنهما يتكون المجال التجاري ، وعن طريق الجميع يكون الدافع الاقتصادي ككل أيضا .

وإذا كان المجال التجاري المكون للدافع الاقتصادي بهذه الصورة ، فإنه كان أكثر المجالات والموارد الاقتصادية اهتماما لدى المستشرقين ، وأكثرها أيضا بحثا فيه ، وتطبيقا له ، وإقرارا للعمل به ، وتطويعا للسوق الشرقية له كذلك .

إن هذا الدافع التجاري قد نصت عليه أعمال المستشرقين نصا ، وهو أوضح ما يكون في هذا الباب ، ففي تقرير المراجع الأكاديمية المسؤولة في جامعة كمبردج بالنسبة إلى إنشاء كراسي للغة العربية فيها ، فقد قررت هذه المراجع في تاريخ مؤرخ في ٩ مارس سنة ١٦٣٦ م ، وموجه إلى مؤسس هذا الكرسي جاء فيه : نهدف إلى تقديم خدمة نافعة إلى



الملك والدولة عن طريق توسيع تجارتنا مع الأقطار الشرقية ، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة ، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات ([1]).

فلينظر القارئ كيف هو الربط بين إنشاء الكراسي للغة العربية – والمخول في الدرجة الأولى بالمستشرقين – وتوسيع التجارة عن طريق ذلك.

إنه لو لم يأت في التدليل على ضلوع المستشرقين في الدافع التجاري للبلاد الغربية ، غير هذا النص لكان كافيا على هذا التدليل . خاصة وأن هذا النص يمثل ثلاثة أمور غاية في الأهمية ، وهي :

الأول : كونه يضرب جذورا في القدم ، إذ إنه في القرن السابع عشر الميلادي ، فكم كان هذا الدافع متأصلا لديهم حينئذ.

الثاني: أنه يمثل تجارة رسمية عن طريق الملك والكنيسة ، فلم تكن تجارة فردية ، والمستشرقون قد انبروا للتفاني في النوع الأول بلا شك ، أعني التجارة الرسمية .

الثالث : أن أمر التجارة وكونها دافعا اقتصاديا قد صاحب الاستشراق في بذرته ونشأته الأولى ، فلم يأتي عرضا بعد ذلك ، بل جاء

---

[1]) للوقوف على هذا الخطاب مفصلا ؛ ينظر : المستشرقون الناطقون بالانجليزية – دراسة نقدية ، د / عبد اللطيف الطيباوي ، ص٢١ . و: الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د / محمود زقزوق ، ص٣١. أما د : الطيباوي – رحمه الله تعالى – فقد أرجع هذا الخطاب إلى كتاب : مدرسة كمبردج العربية ، للمستشرق آرثر آربري ، ص٨ . وأرجعه د / زقزوق – رحمة الله عليه – إلى كتاب د / الطيباوي . وبعد طول بحث واستقصاء لم يقف الباحث على كتاب آرثر آربري هذا .



في التأصيل والنشأة الأولى له ، وظل مصاحبا له أطوارا وقرونا كثيرة بلا شك ، وفي هذا ما فيه من الدافع والغاية معا .

لقد بحث المستشرقون في قوة التجارة للعالم الإسلامي من جميع جوانبها ، ومن ثم كيفية التخلص منها ، فأما الدراسة في ذلك ، فيمثلها هاملتون جب أيضا ، إذ يقول : (وإن الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي قد أغدق عليه فوائد اقتصادية عظيمة ، فبفضل وقوعه على الطرق التجارية للدنيا القديمة كان يتحكم في المسالك البرية والبحرية جميعا بين أوروبا وآسيا، كما أن امتداده مع طول ساحل المحيط الهندي ، واضطلاع بحارته ومتاجريه بالأعمال ، مكنه من احتكار التجارة البحرية)([1]).

وبامتلاك العالم الإسلامي هذا الطريق الجغرافي ، والذي ضمن له مزايا اقتصادية كثيرة ، راح الأوروبيون ومن معهم من المستشرقين – عن طريق كشوفاتهم ودراساتهم الجغرافية – يبحثون ويكثرون من دراساتهم تلك ، حول العالم الإسلامي وجغرافيته ، ومن ثم تجارته ، للوقوف على أسباب القوة إن أمكن ، فضلا عن العرقلة له إن أمكن أيضا ، فقد (كان هنالك دافع آخر أدى إلى زيادة المعلومات عن العالم الإسلامي ، وهو الدافع الاقتصادي المتمثل في السعي وراء التجارة المربحة ؛ لأن العالم الإسلامي كان منطقة اقتصادية ذات أهمية أساسية لعدد كبير من التجار الأوروبيين)([2]).

والسؤال الآن : من الذي يقوم بتلك المعلومات عن العالم الإسلامي؟ وما الذي يسعى إليه من يبحث ويكثر من تلك المعلومات ؟

[1]) وجهة الإسلام ، هامتلون جب ، ص١٩ .

[2]) تراث الإسلام ، جوزيف شاخت وآخرون ، ص٣٩ .



إنهم بلا شك المستشرقون وأصحاب الكشوف الجغرافية والأعمال التجارية ، وكلهم كان المستشرقون في خدمتهم أيضا .

إن هذا النص السابق إذ كونه يخرج من مستشرق مثل (جوزيف شاخت) فهو يمثل إقرارا واضحا من القوم بأهمية هذا الدافع من ناحية ، وأنه لازم تلك الرحلات التجارية للعالم الإسلامي من ناحية أخرى ، وهو ما لا سبيل إلى إنكاره من القوم إطلاقا .

وأما التخلص من قوة التجارة للعالم الإسلامي ، فقد سعى الأوروبيون – بمساعدة المستشرقين – إلى ذلك ؛ ولهذا أخذوا يترصدون للعالم الإسلامي بحثا عن طرق أخرى تضرب هذا الطريق التجاري الحيوي، ويقرر (جب) هذا إذ يقول : (وأما ثانية الضربات القاضية فقد أتت من أن أوروبا اهتدت إلى أن العالم الإسلامي يمكن أن تؤخذ عليه السبيل طبيعيا واقتصاديا في آن واحد ؛ إذ فتح الطريق البحري إلى غرب إفريقية والهند ، ولم تكن نتيجة هذا قاصرة على نزف أكبر معين للرخاء الاقتصادي، ولكنه جعل العالم الإسلامي في عزلة لا يتصل بجيرانه اتصالا اتصالا ذا أثر ، وقضي عليه بالكساد الاقتصادي ، وبكل ما يصاحبه من الآثار في الحياة العقلية والأدبية للأمة)([١]).

ففحوى النص ودلالاته قاطعة بأن أوروبا كانت لها اليد الطولى في القضاء على التجارة المربحة في العالم الإسلامي في هذا الوقت الذي تشمله دراسة (جب) ، وحينما يقال : أوروبا فيدخل فيها المستشرقون دخولا أوليا بلا ريب ؛ وليس هذا ادعاءا عليهم وتخرصا للقول بلا علم ؛ إذ (في العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب

---

[١]) وجهة الإسلام ، هـ . ر . ا . جب ، ص٢٠ .



بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي ، من الإغداق على المستشرقين ، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق)([1]).

وإذا كانت المؤسسات تقوم بالإغداق والعطايا والهبات وإعطاء المنح والأموال ، وإذا كان هذا قديما وحديثا ، أفلا يكون المستشرقون في خدمة ما يؤمرون به ويهدفون إليه ، ومنها التجارة الغربية وتوسيعها ، والتجارة الشرقية والتضييق عليها ؟.

إن ثمة دراسات استشراقية متعددة ، تربط بين الاستشراق والمستشرقين من جانب ، ودورهم وتأثير في تسيير الأعمال التجارية من جانب آخر ، ومن تلك الدراسات دراسة المفكر إدوارد سعيد ، إذ يرى أنه قد (عرفت فرنسا من لا يقلون عن (فردينان دي ليسبس) في رؤاهم وقدرتهم على تنظيم الأعمال التجارية ، ومن كانوا يعتزمون كسر القيود الجغرافية للشرق والغرب ، من العلماء والإداريين والجغرافيين والوكلاء التجاريين ، الذين صبوا نشاطهم الدفاق في الشرق المستكين والأنثوي إلى حد كبير ، كما عرفت فرنسا الجمعيات الجغرافية التي كان عددها وعدد أعضائها يزيد مرة أو مرتين عن مجموع ما ظهر في أوربا منها)([2]).

وحينما يتم الربط بين كل من : العلماء المشار إليهم في النص ، وكذا اصطحاب نابليون ([3]) بعض المستشرقين معه إلى مصر كما هو

---

[1]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د / محمد البهي ، ص٥٢٦ .

[2]) الاستشراق ، إدوار سعيد ، ص٣٤٣ .

[3]) نابليون الأول : (١٧٦٩ – ١٨٢١م). قائد عسكري فرنسي توج نفسه إمبراطورا لفرنسا.

=

معلوم ، فضلا عن علاقة هؤلاء جميعا بالوكلاء التجاريين ، تتضح تلك العلاقة وهذا الأثر ومن ثم التأثير ، الذي يمتلكه المستشرقون في هذا الدافع التجاري ، فضلا عن الدافع الاقتصادي كوحدة كلية جامعة .

هذا ، ومن خلال تلك النصوص قاطبة ، تتضح عدة معالم تختص بهذا الدافع التجاري لدى الاستشراق والمستشرقين ، وهي كالآتي بفضل الله تعالى وحده :

أ- إن التجارة وتسييرها والبحث في أسباب تفوق العالم الإسلامي فيها ...الخ ، كل هذا مما يعد باعثا وحافزا للمستشرقين أن يبحثوا فيه ، ومن ثم يمثل دافعا تجاريا مؤديا إلى الدافع الأكبر ، وهو الدافع الاقتصادي لديهم .

ب- في حين أن المستشرقين – في صورة أوروبا مجتمعة ، خاصة الساسة وأصحاب الكلمة والتوجيه فيها – كان يرنون إلى توسيع تجاراتهم وتدفقها وزيادة رقعتها على حساب العالم الإسلامي ، إلا أنه كانت هناك صورة معاكسة لهذه الصورة تماما لدى المستشرقين والتجاريين

=

ولد نابليون في أجاكسيو في جزيرة كورسيكا في البحر الأبيض المتوسط. وكان الطفل الرابع والابن الثاني لكارول وليتيزيا رامولينو بونابرت، وقد انحدر والده من عائلات إيطالية نبيلة.

أرسل إلى مصر حملة نزلت في أول يولية ١٧٩٨ م . توفي نابليون في الخامس من مايو ١٨٢١م، نتيجة إصابته بالسرطان، ودفن في تلك الجزيرة، إلا أن جثمانه أعيد إلى باريس، ودفن في كنيسة القبة. ينظر : الموسوعة العربية الميسرة ، مجموعة مؤلفين ، ج٧ ، ص٣٣٣٩ . باختصار شديد .



الغربيين ، متثلة في محاولات ضرب التجارة في العالم الإسلامي وكسادها وعدم تفوق المشرق فيها .

ج- أن التحارة في كل ما يتعلق بها قد أخذت صفة الرسمية والجماعية ، فلم تكن حالات فردية أو غير رسمية ، مما يعني : الأهمية و، والأثر ، وكمون الدافع ، وتأصله لدى المستشرقين .

المطلب الثاني : دافع اقتصادي من حيث كونه فرديا أو جماعيا .

على الرغم من أن الاستشراق في دافعه الاقتصادي كان متعدد الجوانب ، متنوع الصور ، متشعب الغايات ، إلا أن انقسامه وتفرعه إلى دافع فردي وآخر جماعي ، يبقى ضرورة حتمية في القول به والتفصيل على أساسه ؛ إذ إن كلا من القسمين (الفردي والجماعي) يمثلان النبض الحي، والعرق الدفاق ، والمكون الرئيسي لهذا الدافع .

ومن خلال هذين الأمرين يتضح جليا إلى مدى كم كان هذا الدافع متأصلا في نفوس المستشرق (على الخصوص (الفردي) وعلى العموم (الجماعي) ، بما يمثل حالة أو ظاهرة تعد عامة رئيسية عند هؤلاء جميعا .

وتفصيل هذين القسمين على النحو التالي بإذن الله تعالى :

أولا : الدافع الاقتصادي الفردي :

وأعني به ذلك الدافع المتعلق بالاقتصاد والذي لم يأخذ صفة الرسمية ، أو حماية الدولة التابع لها المستشرق ، أو لم يأخذ كونه ظاهرة عامة ، مما يعني أن انتفاع الفرد به أكثر ، وتعلق الدافع الشخصي به أوضح.

ويتضح هذا النوع أكثر حينما يتخذ الاستشراق كوظيفة أو مهنة تدر على صاحبها ربحا ، فمن المؤكد (أن هناك عاملا اقتصاديا للاستشراق يتخذه كثير من المثقفين كمهنة ناجحة ، وكثير من أصحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها يشجعون نشر المؤلفات لما يرون لها من سوق نافقة في أوربا وآسيا ، وتنال هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ما يجعلها



عظيمة الانتشار ، كثيرة الذيوع ، وهي لا شك وسيلة لتجارة رابحة وكسب أموال خطيرة)([1]).

وآحاد أصحاب هذه المكتبات بلا شك يمثل تلك الحالة الفردية التي يرنو الباحث إلى إثباتها ، نعم ربما في مجموعهم يمثلون حالة جماعية ، لكن المقصود أن كل واحد من أصحاب تلك المكتبات قائم بنفسه ، وربما لا ينضم إليه أحد ، بل ربما يكون تواجده في بلد معين عزيزا أو نادرا ، بما يمثل تلك الحالة الفردية بلا ريب.

ونفس هؤلاء الذين أشار إليهم أ . د / محمد البهي ([2]) – رحمه الله تعالى – إذ يقول : (ويبدوا أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل الحياة العادية ، أو دخلوه هاربين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء

---

[1]) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، أبو الحسن الندوي ، ص١٩٥ .

[2]) د / محمد البهي : (١٣٢٣ - ١٤٠٣ هـ) (١٩٠٥ - ١٩٨٣ م) : مفكر إسلامي، داعية إلى التجديد الديني والإصلاح الاجتماعي. ولد بمحافظة البحيرة، وانضم إلى بعثة الإمام محمد عبده في جامعة هامبورج بألمانيا، حصل خلالها على دبلوم عال في اللغة الألمانية عام ١٩٣٤ إلى جانب الدكتوراة في الفلسفة وعلمي النفس والاجتماع . تدرج في مناصب عديدة حتى كان وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر .

له مؤلفات كثيرة ، منها : منهج القرآن في تطوير المجتمع - مقياس الدراية في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم -. الإسلام كنظام للحياة.

وغيرها كثير جدا . ينظر : تكملة معجم المؤلفين، وفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م) ، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ، ص٤٥٦ : ٤٦٠ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م . الطبعة الأولى .



في العلوم الأخرى ، أو دخلوه تخلصا لمسئولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية . أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم في الدين ، وتغطية لعجزهم الفكري ، وأخيرا بحثا عن لقمة العيش ؛ إذ إن التنافس في هذا المجال أقل منه في باب الرزق)([1]).

وتلك الجملة الأخيرة من هذا النص ، هو عين ما يرنو الباحث إلى إثباته ، وهو قوله (... إذ إن التنافس في هذا المجال أقل منه في باب الرزق) ، وقلة التنافس في هذا الباب يتولد عنها حالات فردية ، لا تقوى على صفة الجماعية في هذا المجال.

وإذا كان هؤلاء يمثلون الاستشراق – في صورته الفردية فيما يخص الدافع الاقتصادي – في العصور الأولى له ، فإن الأمر ظل على ما هو عليه حتى فيما بعد تلك العصور ، إذ إن (أساتذة اللغات الشرقية في العصر الوسيط وتراجمته عملوا لقاء أجر)([2]).

وهؤلاء الأساتذة في الواقع لا يمثلون كل المستشرقين ؛ إذ إن منهم: المستشرق الذي جاب ديار الإسلام ، ومنهم القابع في بلده لكنه غير أستاذ كرسي ، ومنهم العاكف على التأليف وهو غير كذلك أيضا ، بما يقرر هذا الدافع الاقتصادي (لقاء أجر) في صورته الاقتصادية.

ويظل الدافع الاقتصادي الفردي متأصلا لأزمنة عدة في نفوس أصحابه من المستشرقين ، ويزداد الأمر سوءا في الاستشراق المعاصر ، حيث يؤخذ عليه (تحول الاستشراق إلى عملية وظيفية يؤديها باحث أو

---

[1]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، أ . د / محمد البهي ، ص٥٢٣ .

[2]) المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ج٣ ، ١١٤٨ .



متخصص لجهة رسمية أو غير رسمية ، ويتلقى على ذلك أجرا فى مقابل خدماته)([1]).

وهل الوظيفة إلا عمل فردي ؟ تتعلق بصاحبها في المقام الأول ، وتنفع صاحبها ماليا قبل غيره .

إنه إذا كان المنصفون (أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا، لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند عامة الباحثين ، ومن ثم فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا)([2]).

فبمفهوم المخالفة فإن غيرهم من أصحاب الهوى والغائية ، يكتبون لتلقى رواجا يدر عليهم بمال وفير ، وهذا عائد مادي فردي بلا شك .

إن هذا العائد المالي لا يعود على الدول في القام الأول بقدر ما يعود على أفراد المستشرقين أنفسهم ، ومن ثم تم اعتباره من النوع الفردي التجاري أو الربحي ، مما ينضوي تحت الدافعه الاقتصادي المجرد عن الإنصاف والبحث العلمي الخالص .

من هذا كله يتضح أن الدافع الاقتصادي الفردي يقوم على ما يلي:

أ- حالات فردية لا تقوى على أن تكون صفة جماعية.

ب- الموظفين بما يمثل كل منهم حالة فردية .

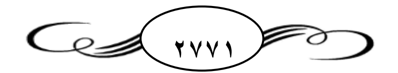
ج- من لا تقوم عليهم الدولة التابع لها .

د- أستاذة الكراسي الشرقية ، بما يخص كل واحد منهم لا مجموعهم.

---

[1]) أزمة الاستشراق المعاصر ، أ . د / خليفة حسن ، ص١٢٠ .

[2]) الاستشراق والمستشرقون ، مصطفى السباعي ، ص٢٥ .



هـ- الباحثين عن لقمة عيش أو مصدر رزق ، بما يخص كل واحد منهم .

ثانيا : الدافع الاقتصادي الجماعي :

لا شك أن الدافع الاقتصادي الجماعي كان أوضح بكثير من الفردي مقارنة به ، إذ إن له صورا متعددة ، ومظاهر متنوعة ، فضلا عن رعاية الدول والمؤسسات له .

ويمثل الدافع الاقتصادي في صورته الجماعية أمور :

الأول : مصدر الممولين (اسم مفعول) في صورتهم الجماعية ، كالمؤسسات والشركات مثلا .

الثاني : جماعة المستشرقين المندفعين بهذا الدافع في صورتهم الجماعية عموما .

الثالث : المستشرقون الموظفون الذي وصلوا إلى مناصب عالية مؤثرة في بلدانهم .

وهؤلاء جميعا بلا شك يمثلون الدافع الاقتصادي في صورته الجماعية ، تلك التي تخالف الفردية فيما يتعلق بها .

فأما الصنف الأول ، فهم الذين أشار إليهم أستاذنا الدكتور محمد البهي بقوله : (في العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي ، من الإغداق على المستشرقين ، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق)([1]).

---

[1]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د / محمد البهي ، ص٥٢٦ .



والواضح هنا أن النص يشمل الأمرين معا : الزمن الماضي والحديث ، بما يمثل أيضا أمر متجذرا في نفوس هؤلاء المستشرقين ، وبما يقرر قوة الوزاع المؤدي إلى الدافع الاقتصادي المتعلق بهم كمستشرقين.

والذي يدفع إلى اعتبار هؤلاء صنفا جماعيا ، هو أن تلك المؤسسات الممولة لم تكن لتغدق أموالها على فرد أو اثنين أو قلة ، بل لا ريب أنها تنفق على مجموع ضخم وجيش واسع من المستشرقين الذين جندوهم لخدمة أفكارها .

وأما الصنف الثاني ، وهم مجموع المستشرقين عامة ، فهم الذين قال فيهم أ / نجيب العقيقي : (المستشرقون عامة يهوون الاستشراق ، ثم يتخذونه مهنة كأي المهن الحرة ، في معاهده ومكتباته ومتاحفه ومطابعه ودور نشره ومجلاته)([1]).

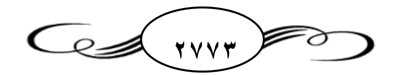
وهذا العموم الذي وصف به المستشرقون كما في النص هو الذي يمثل هذا الصنف ، حيث يمثلون تيار موحدا ، جاء لخدمة أهداف معينة ، مدفوعا بعدة دوافع منها هذا الدافع الاقتصادي ، حيث يتخذون الاستشراق مهنة ، والمهن تدر مالا في المقام الأول بلا ريب.

وإذا كان الاستشراق – كمهنة – داخلا في المعاهد والمكتبات والمتاحف ....الخ كما أشار هذا النص ، فإن هذا يؤكد تنوع المصادر المدرة لهذا المال ، والناتج عنها أيضا ، مما يؤكد مدى كون هذا الدافع متجذرا وبقوة في نفوس هؤلاء المستشرقين.

وأما الصنف الثالث ، وهم هؤلاء الذين ارتقوا مناصب عليا في بلادهم فضلا عن ديار الإسلام ، فهم الذين أشار إليهم المستشرق (جوزيف

---

[1]) المستشرقون ، العقيقي ، ج٣ ، ص١١٤٩ .



شاخت) من أن التجار الغربيين (قد أدى ذلك إلى اتصالهم بموظفي الجمارك وغيرهم من صغار الموظفين إلى أن وصلوا إلى موظفين من ذوي المراتب العالية ، وذلك مع اتساع نطاق عمليات التبادل وأهميتها وازدياد قوة العالم الغربي، وبعد فترة وجيزة أصبحت التجارة تتطلب اتصالات على المستوى الحكومي) ([1]).

وإذا كان النص عاما في التجار الغربيين ، مما قد يدخل فيه المستشرقون ، فإن العلامة الأديب محمود شاكر – رحمه الله تعالى – قد نص صراحة على أنهم (المستشرقين) ، قد اتخذوا التجارة حرفة تدر عليهم مالا ، حيث (تطاولت السنون حتى استطاع الاستشراق – أن يكون في قلب دار الإسلام جاليات صغيرة متخيرة ، بفهم ودقة من شعوب المسيحية الشمالية ، عمادها الرجال الذين يحترفون التجارة ، ويعرفون العربية وغيرها من لغات دار الإسلام ، ويقيمون في دار الإسلام مددا طويلة ، حتى يألفوا الناس ويألفهم الناس)([2]).

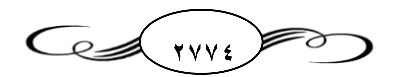
وبمجموع دلالات النصين معا ، يتضح أن التجارة المشار إليها في نص المستشرق جوزيف شاخت ، تدخل دخولا أوليا في تلك التجارة المقيدة بالاستشراق في النص الثاني.

هذا ، وإذا كانت تلك التجارة المتعلقة بالمستشرقين ، تتطلب اتصالا حكوميا كما سبقت الإشارة ، فإن هذا مما يعطي صورة قوية عن تلك التجارة القائمة على المؤسسات الحكومية ، مما يدل على تأثيرها ، ومدى تأثر

---

[1]) تراث الإسئلام ، جوزيف شاخت وآخرون ، ص٤٠ .

[2]) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، أ / محمود محمد شاكر ، ص١٢٢ .



الغير بها من صغار وعوام الغربيين ، مما يعطي صورة جماعية عن هذا الدافع ككل .

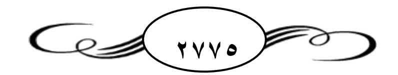
هذا ، ومن خلال ما سبق يتضح بجلاء ما يلي :

أولا : أن الدافع الاقتصادي لم يكن على صورة واحدة ، بل جاء فرديا تارة ، وجماعيا تارات أخرى.

ثانيا : إن مجيء الدافع الاقتصادي على أكثر من صورة لدى المستشرقين ، يعني قوة تجذره وتأصله وتغلغله في نفوسهم ، لدرجة أن من لم يستطع فعله في جماعة ، يفعله منفردا.

ثالثا : بجموع الصورتين معا (الفردي والجماعي) يتكون انطباعا موحدا عاما عن الاستشراق والمستشرقين ، أن الدافع الاقتصادي لديهم لا يمكن غض الطرف عنه أو إغفاله بحال.

رابعا : لا يمكن التقليل البتة من الدافع الفردي ؛ إذ عن طريقه يمكن تكون الدافع الجماعي من ناحية ، واستفاد أعضائه مالا وتجارة عن طريق الاستشراق من ناحية أخرى .



المبحث الثالث :

مظاهر الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ،

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

مظاهر تتعلق بالآثار والمخطوطات الشرقية .

المطلب الثاني :

قيام الدراسات وجمع المعلومات عن الاقتصاد الإسلامي.

المطلب الثالث :

البعثات التجارية وارتباط المستشرقين بالمؤسسات التجارية.



المطلب الأول : مظاهر تتعلق بالآثار والمخطوطات الشرقية .

تأتي عدة مظاهر حقيقية تتعلق بالآثار والمخطوطات الشرقية ، لتمثل أدلية حقيقية على وقوع الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والقائمين به (المستشرقين) ، مما ينم عن حركة اقتصادية مدفوعة بالبحث والتنقيب عن كل ما يدر مالا ، أو يعد مصدرا لزيادة الدخل وكثرته لدى المستشرقين.

إنه على الرغم من أن المفترض أن يكون المستشرقون مهتمين بالبحث العلمي فقط ، متنزهين عن كل شائبة وغرض ، متجردين عن الغائية وما يتعلق بها ، إلا أن الواقع كان على خلاف ذلك تماما ، حيث تأتي تلك المظاهر المتعلقة بالدافع الاقتصادي ، والمتمثل هنا بالآثار والمخطوطات الماثلة في الشرق ، لتدل في دلالة قاطعة بأن المستشرقين – المشتغلين بمثل هذا الدافع – لم يكونوا على نفس المستوى من أخلاقيات البحث العلمي وآدابه.

وتتنوع المظاهر المتعلقة بالآثار والمخطوطات الشرقية على النحو التالي :

١- الاستيلاء على الآثار الشرقية .

٢- سرقة المخطوطات والاتجار فيها.

وتفصيل هذين المظهرين على النحو التالي بفضل الله تعالى ومشيئته :

أولا : – الاستيلاء على الآثار الشرقية :

إذا كانت البلاد الشرقية غنية بالآثار المتنوعة والمتعددة ، والتي تدر مالا وربحا وفيرا ، فإن العالم الغربي قد اهتم بتلك الآثار ، وعمل على



اقتنائها بالطرق المشروعة وغير المكشروعة ، وكانت له سبل كثيرة ووسائل متعددة في هذا المجال ، ويأتي على قائمة تلك السبل وهذه الوسائل المستشرقون .

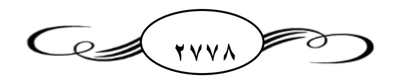
والملاحظ أن هذا الأمر لم يكن وليد العصر أو حادثا ، بل له أدلة تضرب جذورا في القدم أيضا ، ف(في عامي ١٨٨٧ و ١٨٨٨ قام (جلازر) ([1]) برحلة أخرى إلى مأرب متزييا بزي فقيه عربي ، ومن مأرب عاد إلى صنعاء ، ورسم تخطيطا لآثار القنوات القديمة وسدود مياهها ، التي كانت مصدرا خصبا لمملكة سبأ ، وسببا من أسباب حضارتها ، ونسخ الكتابات التي كانت على سدودها ...وحمل معه قطعا أثرية ونقودا وخواتيم (نشرت في برلين ١٨٩٣) ، وأربعمائة نسخة لكتابات عربية لم تنشر ، ومائتين وخمسين مخطوطا في تواليف الزيدين)([2]).

فلينظر القارئ الكريم ، كيف أن هذا المستشرق جلازر جمع بين تنظيراته الاستشراقية وتطبيقاته العملية في هذا المجال ، حيث جمع معه من القطع الأثرية والنقود والخواتم ما يدل على ذلك ، ورغم أن النص لم يذكر هل أخذها بطرق مشروعة أم لا ، فإنه في كلا الحالتين إنما يدل ذلك على الدافع الاقتصادي ، حيث إنه في الأمرين سيجني من ورائهما ربحا بلا شك

---

[1]) مستشرق ، رحالة ، يهودي الديانة . ولد في ١٥ مارس ١٨٥٥م في يودرزام (بوهيميا) ، وتوفي في منشن في ٧ مايو سنة ١٩٠٨م . اشتهر بكونه منقبا عن النقوش والآثار العربية ، له عدة مؤلفات وكتب . ينظر : موسوعة المستشرقين ، د / عبد الرحمن بدوي ، ص١٨٦ .

[2]) المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ج٣ ، ص١١٠٠ .



، خاصة أنها جميعا نشرت في برلين كما هو منصوص عليه ، والمؤكد أنه نشرها لقاء ربح أو أجر.

ويبدو أن هذا الأمر والبحث عن المال والربح من وراء المكتشفات الأثرية ، لم يكن حوادث فردية أو مرة وانقطعت ، بل الواضح أنها أخذت صفة الجماعية والتكرار أيضا ، فـ(من الذين تعاقبوا على الكشف عن آثار بلاد العرب الجنوبية : بعثة مجمع فيينا (١٨٩٨) .... التي استأجرت لها باخرة سويدية خاصة ، فعرقل مساعيها الإنجليز بعدن....)([1]).

وهذا النص يدل على ثلاثة أمور ، هي غاية في تقرير المراد ، وهي :

أ- النص يشير صراحة إلى أن هذا الأمر وقع كثيرا ومكررا ، وهذا واضح من قوله (تعاقبوا) ، مما يدل هذا التعاقب على هذا التكرار.

ب- والنص أيضا يدل على أنها كانت بعثة ، فهو جهد جماعي وليس فرديا، مما يعطي انطباعا بالاهتمام لدى هؤلاء.

ج- وإذا كان الإنجليز قد عرقلو عمل تلك البعثة ، إلا أن النية كانت مبيتة لمثل هذا العمل ، ووجود دافع قوي للبحث والاكتشاف ، وهو ما يدل على ذلك المظهر الاقتصادي أيضا.

وقد ظل هذا العمل (من الاتجار في الآثار الشرقية من قبل المستشرقين بطرقه المشروعة وغيرها) ، حتى دخول عصر الاستعمار ورضوخ معظم دول الإسلام تحت نيرانه ، فـ(بالإضافة إلى جرائم سرقة المخطوطات وتهريبها والاتجار فيها ، قامت البعثات التنقيبية الأثرية بأعمال التنقيب عن الآثار فى البلاد الشرقية والإسلامية تحت إشراف وحماية

---

[1]) نفس المرجع ، ونفس الصفحة .



الدوائر الاستعمارية . وكما حدث مع المخطوطات ، قام علماء الآثار والمستشرقون الذين شاركوا فى أعمال التنقيب بعمليات استيلاء على الآثار وتهريبها إلى خارج البلاد الشرقية والإسلامية، والاتجار فيها، وتحقيق مكاسب مالية خرافية من التجارة فى الآثار على اختلاف أشكالها. وقد كانت الحكومات الاستعمارية مسؤولة مسؤولية مباشرة عن الاستيلاء على الآثار حيث ساعدت البعثات الأثرية على مزاولة نشاطها التنقيبى، ثم استولت على الآثار، وقامت بإرسالها رغم ضخامة حجمها إلى أوروبا وأمريكا حيث امتلأت بها المتاحف الأوروبية والأمريكية ، وزينت بها الميادين الهامة فى المدن الأوروبية والأمريكية . وقد كانت الآثار المسروقة من الضخامة بحيث تم فكها ونقلها وإعادة تركيبها، ومنها معابد ضخمة وكاملة وتماثيل ضخمة لملوك قدامى وأصنام لآلهة ومئات الأنواع من القطع الأثرية ذات الأغراض والأشكال والنسخ المتعددة المصنوعة من الذهب وألفضة والنحاس ، وغير ذلك من المعادن فضلا عن الأحجار الكريمة . وهى من الكثرة والضخامة والتنوع بحيث لا يمكن تقديرها بثمن)([1]).

فتحصل من هذا النص أمور ، تدل على ذلك المظهر الذي يدل على هذا الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين ، ومن ذلك :

أ- النص يقطع بأن جرائم سرقة الآثار الشرقية قد وقعت بالفعل من قبل المستشرقين .

ب- وممن مهد للمستشرقين ذلك الاستعمار بدوائره المختلفة .

ج- تلك الآثار والقطع التي تمت سرقتها قد بلغت من الضخامة والكبر في الحجم ما لا يمكن وصفه أو تخيله .

---

[1]) أزمة الاستشراق المعاصر ، أ . د / محمد خليفة حسن ، ص٤٠٥ ، ٤٠٦ .



د- تم للمستشرقين وعلماء الآثار والتنقيب ما أرادوا ، حيث الأثمان العالية والربح الوفير ، حتى وصف بأنه مكاسب مالية خرافية ، وهو عين ما يرنوا الباحث إلى إثباته.

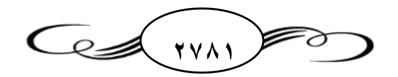
هـ- جاءت تلك الآثار – كما يبدوا من النص – على أشكال وأنواع وصور متعددة ، مما يدل على ضخامتها وكثرتها من جانب ، وتعدد ربحها وكثرته من جانب آخر.

ومن خلال هذا كله يتضح أن الآثار الشرقية والاتجار فيها ، وتلك المكاسب المالية العالية التي تأتي من ورائها ، كل هذا كان مظهرا واضحا على هذا الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين ، مما يدل على تلبسهم به وقيامهم بمزاولته.

ثانيا : سرقة المخطوطات والاتجار فيها:

من أكثر المظاهر – التي تتعلق بالدافع الاقتصادي لدى الاستشراق – وضوحا ، وأكثرها ظهورا ، وأشدها تكرارا : هو تلك السرقات المشينة التي قام بها بعض المستشرقين لمخطوطات البلاد العربية عامة ، والإسلامية منها خاصة ، حتى فقدت جراء ذلك الآلاف المخطوطات وتم نقلها خارج محيطها الشرقي.

إن اهتمام المستشرقين بتلك المخطوطات بلغ حدا كبيرا ، حتى صار معلوما مؤكدا ، فـ(من المعروف أن المستشرقين والمستعربين اهتموا بالمخطوطات العربية ، وغيرها من المخطوطات الإسلامية اهتماما كبيرا منذ

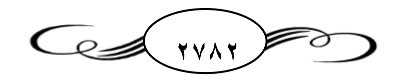


القرن السادس عشر الميلادي ، فقاموا بجمعها ، ووضع الفهارس لمحتويات مكتباتهم ، وخزائن مجموعاتهم بلغاتهم)([1]).

وهذا النص يشعر من ظاهره أن المستشرقين اهتموا بتلك المخطوطات عن طريق الشراء والاتجار فيها بطرقها المشروعة فقط ، لكن الحقيقة خلاف ذلك تماما ، فقد كانت هناك أخلاقيات غير مشروعة ، استحوذ بها الممستشرقون على تلك المخطوطات العربية والإسلامية ، وليس افتئاتا على القوم أو تخرصا بلا علم ، بل لكثرته وشهرته وذيوعه وإقرار المستشرقين أنفسهم به ، أصبح معلوما لا يمكن إنكاره بحال ، فـ(لقد اهتمت الدوائر الاستشراقية المختلفة اهتماما كبيرا بجمع المخطوطات الشرقية عامة والإسلامية خاصة . واتبعت هذه الدوائر عدة وسائل غير شرعية للحصول على مئات الآلاف من المخطوطات الشرقية ونقلها من بلادها الأصلية إلى أوروبا وأمريكا. ففى المرحلة الاستعمارية استغل المستشرقون نفوذهم السياسى فى وضع يدهم على المخطوطات والاستيلاء عليها وتيسير عملية تهريبها إلى خارج البلاد الإسلامية والشرقية . وقد عملت السلطات الاستعمارية على تمكين المستشرقين من نهب هذه الثروة)([2]).

[1]) تسريب التراث العربي المخطوط للمكتبات الأوربية والأمريكية ، أ / عبد الرحمن عبد الجبار ، ص٤٩ . مجلة آفاق
الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، الإمارات. العدد (٣١) ، السنة (٨) ، رجب ١٤٢١ هـ – أكتوبر ٢٠٠٠م .

[2]) أزمة الاستشراق المعاصر ، أ . د / محمد خليفة حسن ، ص٤٠٢ .



وليس ثمة فرق بين كونهم أخذوا تلك المخطوطات لنفع بلادهم بها ، أو للاتجار فيها والتربح من ورائها ، إذ إنها جاءت من طرق غير مشروعة تماما ، ومادامت الوسيلة فاسدة معوجة ، فلا تشفع للغاية البتة .

إن بعض النصوص التي اهتمت بالاستشراق والمستشرقين ، أوضحت أن الحصول على تلك المخطوطات لم يستغرق وقتا طويلا من المستشرقين، فـ (ما هو إلا قليل حتى كان تحت يدي الاستشراق آلاف مؤلفة من مخطوطات : من كتب دار الإسلام نفيسة منتقاة ، مشتراة أو مسروقة ، موزعة مفرقة في جميع أرجاء أوربة وأديرتها ومكتباتها وجامعاتها)([1])،

ومعنى ذلك أن هذا الحصول على تلك المخطوطات بتلك السرعة ، ينبئ عن كثرة تلك المخطوطات من جانب ، ومدى تفاعلهم معها من خلال اقتنائها وسرقتها من جانب آخر .

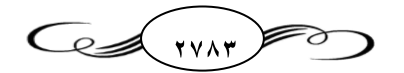
ونتيجة طبيعية لهذا الاقتناء السريع ، وتلك السرقة المتتابعة ، والجري الواضح وراء التكسب بغض النظر عن مشروعيته من عدمه ، كانت الدور والمكتبات الأوروبية قد امتلأت بتلك المخطوطات ، فـ (في الغرب دور لنشر المصنفات الاستشراقية ، والاتجار فيها ، ووضع الفهارس العلمية لها)([2]).

والملاحظ في جمع تلك المخطوطات من قبل المستشرقين ، أنها جاءت من جميع المدارس الاستشراقية تقريبا ، فلم تكن هناك مدرسة

---

[1]) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، أ / محمود شاكر ، ص٥٤ .

[2]) المستشرقون ، أ / نجيب العقيقي ، ج٣ ، ص١١٢٠ .



استشراقية تنتمي لبلد أوربي ، إلا وكان لها نصيب وحظ من سرقة واقتناء تلك المخطوطات ([1]).

حتى (كانت رحلات بعض المستشرقين إلى البلدان العربية والإسلامية ، وتطوافهم بها بحثا عن المخطوطات النادرة والنفيسة أمرا شائعا على مدى طويل من الزمن)([2]).

وترتب على هذا أنه (لم تبق المكتبات العربية التي أحدثها علماء الاستشراق محصورة بجمعياتهم وبمدارس اللغات الشرقية المنتشرة في أكثر أنجاء أوروبا ، فإن فريقا كبيرا منهم عمد إلى اقتناء خزائن كتب خاصة توصلا إلى ما يتوخونه من الأبحاث في مطالعاتهم ومراجعاتهم)([3]).

وتدليلا على هذا كله ، ولما كانت هناك كثرة كاثرة من أسماء عديدة من المستشرقين الذين قاموا باقتناء تلك الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية ، ولما كان حصر ذلك يصعب ، فإن مثلا واحدا من المستشرقين يكفي في التدليل على ذلك ، وهذا المثال يتعلق بالمستشرق (ماسينون) ، إذ إن (مكتبة هذا المستشرق العلامة تحوي ألوفا من

---

[1]) ينظر : تسريب التراث العربي المخطوط للمكتبات الأوربية والأمريكية ، أ / عبد الرحمن عبد الجبار ، ص٥١ : ٥٥ ، وقد أعد الباحث تقريرا مفصلا مطولا حول المدارس الاستشراقية : الروسية ، والبريطانية ، والفرنسية ، والإيطالية ، واليوغسلافية ، والألمانية ، والأمريكية ، والإسبانية ، والبلغارية ، والأيرلندية ، حتى الفاتيكان ، وعلاقة تلك المدارس بالمخطوطات ، وكم هي نسبة المخطوطات في تلك البلدان .

[2]) نفس المرجع ، ص٥٩ .

[3]) خزائن الكتب العربية في الخافقين ، فيليب دي طرازي ، ج٢ ، ص٦١٢ ، لبنان ، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .



المجلدات ، معظم مواضيعها شرقية ، وبينها طائفة صالحة من الكتب العربية المخطوطة ، زهاء مائتي مجلد مخطوط)([1]).

وإن المرء ليعجب ، إذا كان هذا حال مستشرق واحد في مكتبته ، حيث الآلاف المؤلفة من تلك المخطوطات ، فكيف بمكتبات المستشرقين مجتمعة ؟ بل كيف بمكتبات الغرب قاطبة ؟ وفي الإجابة على هذا السؤال يتقرر مدى هذا الاهتمام بتلك المخطوطات بطرق مشروعة وغيرها مما يتعلق بالمستشرقين ، وأثر ذلك على الدافع الاقتصادي لديهم ، حيث الاقتناء ثم البيع ونحوه.

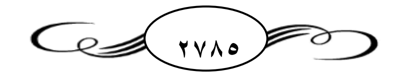
هذا ، ومن خلال تلك النصوص السابقة مما يتعلق باقتناء المخطوطات وسرقتها من قبل المستشرقين ، يتبقى تقرير عدة حقائق تتعلق بذلك ، وهي :

أ- يكاد هناك شبه إجماع على أن الاهتمام بكتب ومؤلفات ومخطوطات ديار الشرق ، عربيا كان أو إسلاميا ، إنما كان من قبل المستشرقين أنفسهم ، فهم المعنيون بهذا في القام الأول.

ب- يأتي شبه إجماع ثان في هذا المضمار ، وهو اتفاق تلك النصوص على مقدار هذا الكم من تلك المخطوطات ، وهذا ما يدل على هذا الاهتمام من قبل المستشرقين أيضا .

ج- مثل اقتناء الكتب والمخطوطات لدى المستشرقين دافعا اقتصاديا واضحا ، بل وقويا مؤثرا ، حيث التكسب وجناية الأرباح ، وهو ما تدل عليه كثير من تلك النصوص أيضا.

[1]) خزائن الكتب العربية في الخافقين ، فيليب دي طرازي ، ج٢ ، ص٦١٧.



د- كثير من الكتب التي تعرضت لتلك المخطوطات واقتنائها من قبل المستشرقين ، تذكر صراحة وتقطع قطعا لا شك فيه ، أن تلك المخطوطات قد جاءت بطرق مشروعة وغير مشروعة ، حيث السرقة والنهب والشراء بأبخس الأثمان ، وهو ما يتنافي مع البحث العلمي النزيه.

هـ- بعض تلك النصوص السابقة لم تذكر صراحة أن المستشرقين قاموا بسرقة ونهب واختلاس المخطوطات الشرقية ، كما في كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين) ، لكن ما دامت هناك كتب معتمدة قد ذكرت ذلك ، وأقامت على ذلك أدلة معتمدة ، وأصبح هذا الأمر شبه متواتر ، فإن تلك النصوص التي لا تذكر يتطرق إليها الاحتمال ، وبالتالي يسقط بها الاستدلال ، ويتم تنزيل تلك النصوص التي لم تذكر الطرق غير المشروعة على النصوص التي ذكرت ذلك.

و- يتضح الدافع الاقتصادي من ذلك الأمر ، في أن المستشرقين كانوا يفعلون واحدة من أربع : إما أنهم يبتاعون تلك المخطوطات بأثمان بخيسة ثم يقتنونها ، وإما أنهم يشترونها بأثمانها ثم يبيعونها لمكتبات أوربا وأمريكا ، وإما أنهم يسرقونها بالفعل دون أثمان أصلا ، وإما أنهم يأخذونها فيحصلون على مكافآت مالية من بلدانهم جراء ذلك ، وكلها بلا شك صور ومظاهر لهذا الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين.

المطلب الثاني : **قيام الدراسات وجمع المعلومات عن الاقتصاد الإسلامي**.

لم تتوقف مظاهر الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين عند التطبيق العملي فقط لهذا الدافع ، بل راحوا ينظرون لذلك ، فقاموا بجمع المعلومات ، وتقرير الإحصائيات ، وقيام كثير من الدراسات حول الاقتصاد الإسلامي ، المتمثل في نظرياته الاقتصادية الماتعة ، وكذا اقتصاد البلدان الإسلامية ومدى قوته من ضعفها آنذاك.

وتتمحور هذه المظاهر المتعلقة بهذا الدافع حول أمرين :

١- جمع المعلومات الاقتصادية الكاملة عن البلاد الشرقية خاصة العالم الإسلامي.

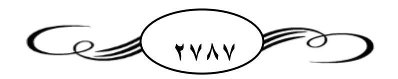
٢- قيام كثير من الدراسات الاقتصادية حول الشرق .

وتفصيل ذلك على النحو التالي بفضل الله تعالى :

أولا : جمع المعلومات الاقتصادية الكاملة عن البلاد الشرقية خاصة العالم الإسلامي:

من المظاهر المتعلقة بالدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، هو ما كان يقوم به المستشرقون من جمع المعلومات مع الدقة فيها ، حول الاقتصاد الماثل في بلاد الشرق ، لا سيما الإسلامي منها ، وهو ما تكاد تطبق عليه جمهرة واسعة من المؤلفات والكتب التي تناولت هذا الشأن.

ولم يكن هذا ادعاءا عاريا عن الصحة والأدلة ، بل إن من المستشرقين أنفسهم من أقر بهذا وأفصح عنه ، ومن هؤلاء (جوزيف شاخت) ، حيث يقرر أنه (قد تم الحصول على الكثير من المعلومات



الصحيحة في معظمها حول جغرافية العالم الإسلامي ومناخه ومدنه وحكومته ونباتاته وحيواناته وإنتاجه الزراعي والصناعي)([1]).

والواضح من هذا النص أنه يشمل أمورا كثيرة تتعلق بالعالم الإسلامي ، لكن يظهر أن أكثرها يتعلق صراحة بالدافع الاقتصادي ، حيث جغرافية العالم الإسلامي، ونباتاته وحيواناته وإنتاجه الزراعي والصناعي ، ولا شك أن هذا مظهر قوي لهذا الدافع ، حيث تمثل تلك المعلومات الانطلاقة التي منها ينطلقون لمزاولة ما يهدفون من الاقتصادي الإسلامي : بحثا واستقصاءا ونهبا وسرقة واقتناءا .

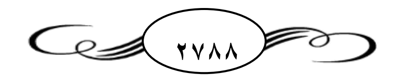
إ ن استشعار أوروبا في بدايات القرون الأولى للإسلام بخطره عليها ، دعاهم إلى جمع مثل هذه المعلومات ؛ لدوافع كثيرة منها هذا الدافع الاقتصادي ، فـ (لقد كان الإسلام بالنسبة لأوربا الوسيطة أخطر عوامل الإرهاب ([2]) والإرهاق ، وعلى كل المستويات . وفي الجانب العملي للمسألة كان على أوربا أن تبذل جهود شتى لمواجهة هذا الخطر ، متأرجحة بين الحملات الصليبية ، والتبشير ، والتعايش السلمي ، والتبادل التجاري)([3]).

وجميع المستويات التي أومأ إليها هذا المستشرق ، يدخل فيها دخولا أوليا العامل الاقتصادي ، ومن ثم راحت أوروبا تجند جيوشها لجمع معلومات عن هذا العالم الجديد (الإسلامي) ، وكان المستشرقون طلائع

[1]) تراث الإسلام ، جوزيف شاخت وآخرون ، ص٣٩ .

[2]) لعل المستشرق هنا يقصد الإرهاب بمعني الخوف وتوجس الخطر ، وليس الإرهاب بمعناه المعاصر ، حيث العمليات الإرهابية المحرمة دوليا ، فهذا أبعد ما يكون عن الإسلام ، الذي هو في الأصل دين السلام .

[3]) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ، ريتشارد سوذرن ، ص٣٧ .



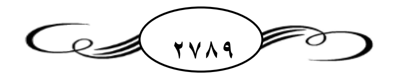
هذه الجيوش وقوادها ، حيث إن (الاستشراق هو الذي كان يمدهم بخبرته الواسعة المتمادية بأحوال دار الإسلام ، ولولاه ما عرفوا قبيلا من دبير ؛ ولأنه أيضا كان دائم الحضور في دار الإسلام أبدا ، يلاقي الخاصة من العلماء ، ويخالط العامة من المثقفين والدهماء ، ويستخرج خبء ما في هذه الدار من أحوال خاصته وعامته ، وعلمائه وجهاله ، وملوكه وسوقته ، وجيوشه ورعيته ، وكل دقيق وجليل يوما بعد يوم ، في ملاحظة واعية لا تغفل ولا تنام)([1]).

والسؤال الآن : من أين اكتسب المستشرقون تلك الخبرات الواسعة ؟ ألم يكن من جمع المعلومات ومعايشة ديار أهل الإسلام ؟ ثم إن النص صراحة يوقف جميع تقدم جيوش الغرب على ما قدمه لها المستشرقون ، فهو متوقف عليهم وجودا وعدما.

غير أن هذا كله لم يكن ماثلا في العصور الأولى للإسلام فقط ، ولا يظن إطلاقا أنه قد انتهى في العصر الحاضر ، بل إن جمع المعلومات عن بلاد الشرق عامة ، والإسلامي منها خاصة مازال مستمرا ، وعمله جاريا ، وإن كانت المسميات قد تغيرت ، والأسماء قد تبدلت ، وهو ما يعرف بـ (ظهور الخبير السياسى والاقتصادى والعسكرى والدينى فى شؤون الشرق الأوسط وشؤون العالم الإسلامى . وقد تركز عمل الخبير فى جمع المعلومات عن الأقاليم أو القطر الذى تخصص فى شؤونه ، والقيام برحلات علمية استكشافية استطلاعية لجمع المعلومات ، وارتبط جميعهم بالدوائر السياسية والاقتصادية فى أوروبا وأمريكا الأمر الذى جعل لعملهم طابعا سياسيا اقتصاديا كموظفين فى هذه الدوائر يجمعون المعلومات فى

---

[1]) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، العلامة محمود محمد شاكر ، ص١١٦ .



شؤون منطقتهم، ويقومون بتحليلها والوصول إلى نتائج يقدمونها إلى هذه الدوائر فى شكل تقارير سياسية واقتصالية ودينية واجتماعية ، وتوصيات لصانعى القرار السياسى والاقتصادى ، واستشارات هادفة إلى المشاركة فى وضع الخطط والاستراتيجيات لسياسة بلادهم فى الأقاليم والأقطار التى تخصصوا فى شؤونها)([1]).

ومعنى هذا أن تلك المعلومات يتم أخذها عن طريق المستشرقين (الخبراء السياسيين والاقتصاديين في شؤون الشرق الأوسط حاضرا) ، ترتبط بمهمات ضخمة تتعلق بالدوائر الغربية هناك ، وهو ما يؤكد أهمية وخطورة تلك المعلومات في آن واحد.

هذا ، ويمكن هنا الإشارة إلى بعض أمور ، وهي :

أ- تلك النصوص آنفة الذكر مجتمعة تقرر أن المستشرقين كان مخولا لهم هذا العمل في المقام الأول ، حيث جمع المعلومات وإرسالها إلى من يهمه الأمر في بلادهم.

ب- أكثر تلك النصوص أيضا ينص صراحة على العامل أو الدافع الاقتصادي ، حيث يتم جمع المعلومات من قبل المستشرقين عنه ، وهو ما يمثل مظهرا واضحا لهذا الدافع .

ج- في حين أن المستشرقين قديما ، والخبراء الغربيين حديثا ، يقومون بجمع تلك المعلومات عن العالم الإسلامي ، فلا ريب أنهم إما يتلقون أجرا مقابل ذلك ، وإما يتلقون مكافآت مالية ومناصب عالية ، وهو ما يمثل مظهرا للدافع الاقتصادي من وجه آخر.

ثانيا : قيام كثير من الدراسات الاقتصادية حول الشرق :

---

[1]) أزمة الاستشراق المعاصر ، أ . د / محمد خليفة حسن ، ص٤١٤ ، ٤١٥ .



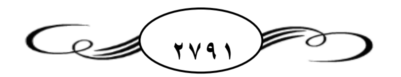
تأتي تلك الدراسات الاقتصادية عن العالم الإسلامي واقتصاده وموارده، كنتيجة حتمية للقول بتلك المعلومات والبحث والتنقيب عنها ، إذ إنهم لما جمعوا معلوماتهم وأرسلوا ما أرسلوه إلى بلادهم ، قاموا بدراسات اقتصادية متعلقة بالعالم الإسلامي بناء على ما جمعوه من تلك المعلومات .

ولا ريب أن هذا يمثل مظهرا واضحا لهذا الدافع ؛ لكثرة ما قاموا بدراسته وما سجلوه في هذا الشأن ، فـ(لقد ألف المستشرقون في جميع المعارف الإسلامية ، فلا تكاد تجد مجال يخص المسلمين ، وإلا وتجدهم قد تطرقوا إليه ، حتى لقد أصبحت كتبهم مصادر للدراسات الإسلامية ، ليس للأوروبين فحسب بل للعرب والمسلمين أيضا)([1]).

والاقتصاد الإسلامي يدخل في تلك المعارف بلا شك ، وهو مما يخص المسلمين أيضا ، وإن كان هذا النص قد جاء عاما شاملا لجميع معارف الإسلام والمسلمين ، إلا أن هناك دراسات تختص بالمجال الاستشراقي قد ذكرت أن هناك دراسات استشراقية اختصت بالمجال الاقتصادي الإسلامي ، وهذا (فيما يتصل بالاقتصاد في بلدان الشرق فإن دراسته والبحث فيه كانت في مستوى عال ، فقد تكرست في الابحاث الاقتصادية – أكثر مما في العلوم الأخرى – مناهج الموازنة بين تحليل القوانينيات العامة وتعديلاتها الناجمة عن الخاصيات المحلية ، وبين تحليل التخلف واستراتيجية اللحاق بالتطور ، وبين متغيرات الظرف الخارجي مقارنة بالأنماط الكلاسيكية ، فصدرت مؤلفات جماعية عن قضايا

---

[1]) الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي ، د / لخضر بن بو زيد ، مقال بمجلة : دراسات استشراقية ، السنة الخامسة ، العدد (١٥) ، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م . ص١٤ .



استراتيجيات التطور وقضية الغذاء والطاقة وقضايا الموارد البشرية ، وما شابه ذلك)([1]).

ولو لم يأت في هذا المضمار إلا هذا النص لكان كافيا ؛ إذ إنه ينص صراحة على أن مناهج الموازنة بين تحليل القوانينيات العامة وتعديلاتها...الخ ، قد اختصت أكثر بالاقتصاد أكثر من العلوم الأخرى ، مما يعني اهتماما أكثر ، ووفرة في الدراسات في هذا الشأن بشكل ملحوظ ، فضلا عن تلك الجماعية التي قامت بهذا فلم يكن عملا فرديا.

وليس هنا أوضح – في قيام تلك الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي – من قول المستشرق (جوزيف شاخت) نفسه حين يرى أنه قد جاءت (جاءت الحركة الإنسانية (Humanism) في محاولتها البحث عن ثقافة عالمية ومن خلال اهتماماتها السياسية والتجارية ، فوسعت هذه الدراسات لتصبح مجموعة من الدراسات الإسلامية)([2]).

إن تلك الدراسات المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي من قبل المستشرقين ، جاءت في صور متعددة ، وأنماط مختلفة ، فتارة تأتي على شكل مؤلفات ومراجع ، وتارة أخرى على شكل مجلات ودوريات تبحث في المجال الاقتصادي الإسلامي ، وتارة ثالثة على شكل فصول في مراجع عامة ، فضلا عن دائرة المعارف الإسلامية ، تلك التي خصصت جزءا كبيرا ومساحة واسعة في هذا المجال.

---

[1]) البريسترويكا وبعض قضايا الاستشراق السوفياتي ، كيم .ج ، ترجمة : د / عبد الكريم كامل ، مجلة الاستشراق

، ص٢٧٠ .

[2]) تراث الإسلام ، جوزيف شاخت وآخرون ، ص٦٢.



ونزولا على التطبيق في الواقع ، راح الغرب يخصص كراسي للدراسات الاستشراقية بشكل عام ، والاقتصادي منها بشكل خاص ، فأما الكراسي المختصة بعلوم الشرق بوجه عام ، فقد (ساعدت الاعتبارات السياسية والتجارية في حفز تطور الاستشراق كحقل بحثي .... فمثلا دعم الموظفون والتجار الإنجليز المتلهفون على توسيع التجارة الإنجليزية في البحر المتوسط إقامة كراسي للغة العربية في جامعتي أكسفورد وكامبردج في منتصف القرن السابع عشر)([1]).

وهنا فإن تلك الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالكراسي هناك ، قامت أيضا في الأصل متعلقة بالمجال التجاري ، والذي هو جزء من الدافع الاقتصادي أيضا.

وأما ما يختص بالدراسات الاقتصادية وقيام الكراسي على إثرها ، فهناك (البرفسور : إبراهيم يودوفتش : رئيس قسم دراسات الشرق الأدني ، من أصل روسي ، متخصص في التاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي)([2]). وأيضا (البرفسورشارل عيساوي : متخصص في الدراسات الاقتصادية للعالم الإسلامي ، خاصة مصر)([3]).

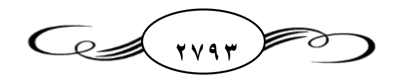
هذا ، ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي :

---

[1]) تاريخ الاستشراق وسياساته – الصراع على تفسير الشرق ، زكاري لوكمان ، ص٩٨ .

[2]) من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر ، د / مازن صلاح مطبقاني ، ص٢٧ ، مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .

[3]) من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر ، د / مازن مطبقاني ، نفس المرجع ، ص٣٠ .



أ- أن تلك الدراسات المتعلقة بالمجال الاقتصادي الإسلامي من قبل المستشرقين ، قد جاءت متنوعة ومتعددة ، فلم تأت على وتيرة واحدة ، مما يعني اهتماما واسعا بها من قبل هؤلاء المستشرقين.

ب- هذا التنوع والتعدد يدعوا في الواقع إلى أن تكون تلك الدراسات الاقتصادية من قبل المستشرقين ، مظهرا واضحا لهذا الدافع الاقتصادي لديهم.

ج- لم يكتف المستشرقون بهذه الدراسات التي تتمحور حول المصادر والمراجع التي ألفوها في هذا الشأن ، بل أنشأوا كراسي في جامعاتهم تختص بهذا الشأن أكثر ، مما يعمق ضرورة اتخاذه مظهرا لهذا الدافع الاقتصادي لديهم أيضا.

د- إن قيام الاستشراق كحقل بحثي ، وتعلق هذا الحقل بمجالات متعددة ، ومنها الاقتصاد الإسلامي ، مما يعزز أيضا كون تلك الدراسات والأبحاث الاستشراقية في مجال الاقتصاد مظهرا لهذا الدافع أيضا.

المطلب الثالث : البعثات التجارية وارتباط المستشرقين بالمؤسسات التجارية.

إذا كانت التجارة والاسحواذ على الأسواق الشرقية وتصريف المنتجات الغربية في تلك الأسواق مقوما واضحا للدافع الاقتصادي كما سبق بيانه ، فإن حدوث ذلك بالفعل ووقوعه وتحكم الغرب في تلك الأسواق وتملكهم للمنتجات وتصريفها ، يعد مظهرا واضحا أيضا لهذا الدافع.

وأصل تلك المظاهر في هذه النقطة ، يتمحور حول أمرين ، هما :

١- إرسال التجار إلى بلاد الشرق .

٢- ارتباط المستشرقين بالمؤسسات التجارية.

وتفصيل هذا الإجمال على النحو التالي بفضل الله تعالى وتوفيقه :

أولا : إرسال التجار إلى بلاد الشرق :

يعد إرسال التجار الغربيين إلى بلاد الشرق مظهرا واضحا للدافع الاقتصادي لدى المستشرقين خاصة ، والأوروبيين على وجه العموم ؛ إذ إنه قد قامت الأدلة المتعددة على هذا المظهر ، بحيث لا يمكن إنكاره أو تجاهله بحال.

ولقد لعب المستشرقون دورا محوريا في هذا المظهر ، وكان لهم أثر واضح في هذا المضمار ، وأثروا فيه تأثيرا بالغا ، بحيث لا يمكن ذكر تلك البعثات دون أثر المستشرقين فيها.

فلو تم إمعان النظر في (ما كان الغرب يرسله من هيئات قنصلية ، وتجار ، ورحلات علمية ، وبعثات أثرية إلى الشرق دائما ، وجدنا أن عدد الذين كانوا يسافرون من الشرق الإسلامي إلى أوروبا ما بين عام ١٨٠٠ و



عام ١٩٠٠ عدد بالغ الضآلة ، بالمقارنة بالعدد الذي كان يسافر في الاتجاه المضاد)([١]).

ولا ريب في أن هؤلاء الذين يرسلهم الغرب كان في طليعتهم المستشرقون ، ؛ للاطلاع والبحث والتنقيب وجمع المادة العلمية ...الخ ، وهذا يمثل خطرا حقيقيا محدقا على العالم الإسالامي آنذاك ، وذلك لعدة أسباب :

الأول : نهب الثروات ومعرفة طرق التجارة والوقوف على قوة اقتصاد العالم الإسلاتمي ودراستها .

اتلثاني : إمكانية وضع العراقيل المختلفة التي تحول دون استمرار هذا التقدم.

الثالث : الوقوف على مكامن الثروات في بلاد الإسلام وكيفية استلابها .

وليس بخاف على الإطلاق السبب الرئيسي في بعث تلك البعثات التجارية والمستشرقين في طليعتهم إلى بلاد الشرق ، فلو (نظرنا نظرة إجمالية وجدنا أن الشرق الإسلامي كان أرضا غنية ومزدهرة ذات درجة رفيعة من الحضارة والهندسة الرائعة ، والبلاطات الأميرية المدهشة التي لا تضاهى في بهائها)([٢]).

ومعنى ذلك أن سفر التجار والمستشرقين إلى بلاد المشرق كان مصحوبا بمغزى ، وأن اغتناء تلك البلاد كان محط أنظار تلك البعثات التجارية ، مما يؤكد أنه مظهر قوي لهذا الدافع .

---

[١]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص٣٢١ . وقد نقله عن بعض المراجع الأجنبية .

[٢]) تراث الإسلام ، جوزيف شاخت ، ص٥٠ .



وقد أفصح الكاتب الغربي (سيرج لا توش) عن مضمون هذه البعثات التجارية ، وربط بينها وبين الهيمنة الغربية ، وجعلها صنوا للتبشير الذي يتفق في أهدافه مع الاستشراق ، حيث يرى أنه(تغدو الوكالات التجارية والحصون والإرساليات شبكة اتصالات الغرب على مستوى الكرة الأرضية ، وتنتصر عناصر الإمبرالية الثلاثة : العسكريون ، التجار ، المبشرون ، وتؤمن جماعات المرتزقة غزو الأراضي والبشر ، وشركات الهند غزو الأسواق ، ورهبانية اليسوعيين الغزو الروحي ، وتغدو الكرة الأرضية ممسوحة بحساب المثلثات ؛ تمهيدا لرسم خرائط دقيقة)([1]).

وإذا كان تغريب العالم وربطه بالغرب في كل شيء هدفا قويا يسعى إليه الغربييون ، وإذا كانت التجارة التابعة لها طريقا لذلك وسبيلا إليه ، فإن هذا كله مما يؤكد خطورة هذه البعثات وإرسال هؤلاء التجار إلى بلاد المشرق ، ولو كان ثمة غيره لاتبعوه وأخذوا به، مما يدل على شدة تأثيره في هذا المضمار.

موقع الاستشراق والمستشرقين من إرسال التجار إلى بلاد المشرق :

إذا كانت النصوص السابقة لم يذكر فيها الاستشراق والمستشرقون صراحة ، في تعلق إرسال التجار الغربيين بهم وربط ذلك بالهيمنة الغربية ، واعتبار ذلك كله مظهرا على الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، فإن ذلك يظهر من خلال ما يلي :

أولا : أن ربط المستشرقين بتلك النصوص ليس فيه تحميل للنصوص ما لا تحتمل ، وليس ظلما للقوم ولا افتئاتا عليهم ؛ وذلك لاتحاد أهدافهم مع أهداف حكوماتهم ، وتوحد دوافعهم مع دوافع الغرب بأجمعه.

---

[1]) تغريب العالم ، سيرج لاتوش ، ص١٤ .



ثانيا : إن ثمة مراجع قد تمت الإشارة إليها – قد ذكرت ذلك في معرض الحديث عن الاستشراق والمستشرقين ، ولو لم يكن من علاقة بين الأمرين ما تم الربط بينهما ، ولا الإرشارة إليهما معا .

ثالثا : إذا كان المستشرقون – كما سبق في كثير من النصوص – هم عين الغرب وجنوده وأصحاب التوجيه والرأي فيه...الخ ، فلا غرو أن يكونوا في طليعة التجار المبعوثين إلى الشرق من قبل الغرب.

رابعا : إذا كانت ثمة علاقة بين الاستشراق والتبشير ، وأن أحدهما يمهد الأرض والعقول للآخر ، وإذ كانت قد تمت الإرشارة – صراحة – إلى التبشير وعلاقة إرسال التجار به – فإنه بلا ريب ما ينطبق على أحدهما ينطبق على الآخر ، وما يقال في أحدهما يقال في الآخر ؛ وذلك لاتحاد الهدف ، وتوحد المقصد ، وتقارب الوسائل ،

خامسا : أن المستشرقين أعلم بغيرهم من العوام الغربيين في هذا المضمار ؛ إذ هم أكثر إطلاعا وقراءة من غيرهم ، فكونهم في طليعة التجار المبعوثين إلى بلاد الشرق أمرا منطقيا في هذا المجال.

هذا ، وتلك الأسباب قاطبة تؤكد تأكيدا قاطعا بأن المستشرقين كانوا في طليعة التجار الغربيين ، وأن هذا ما دام قد حدث ووقع مرارا فإنه يصبح مظهرا قويا للدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين.

ثانيا : ارتباط المستشرقين بالمؤسسات التجارية :

من أقوى المظاهر التي تدل على الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ، هو ما كان من علاقة قوية ، وترابط واضح بين المستشرقين من جانب ، والمؤسسات التجارية في الغرب والمشرق من جانب آخر.

ولا ريب في أن تلك العلاقة تؤكد على تكرار هذا الدافع تارة ، ومدى تأثير المستشرقين في تنفيذ ما ترنو إليه تلك المؤسسات تارة أخرى .



ولم تكن تلك العلاقة وليدة اليوم ولا حديثة العصر ، بل أشار المستشرق (هاملتون جب) إلى نوع من تلك العلاقة فيما كان قبل القرن التاسع عشر ، حيث يقول : (ما يهمنا حقا هو التحقيق في تنظيم المجتمعات المسيحية واليهودية المختلفة ، ما قبل القرن التاسع عشر ، وصلاتها الاجتماعية والاقتصادية بالمسلمين بكافة طبقاتهم ، وبالحكومات المحلية ، وبمؤسسات التجارة الأوروبية . لقد ازدادت صلتهم بالأوروبين خلال القرن التاسع عشر ، وسعوا إلى اكتساب الطرق التعليمية والاقتصادية الأوروبية الحديثة مما وسع نشاطهم ومنحهم أهمية أكبر في المجتمع الاقتصادي من جهة ، ومن جهة أخرى حصلوا على وظيفة جديدة بعملهم في نقل الأفكار الأوروبية المتداولة)([١]).

ومعنى هذا أن تلك الأقليات – متنوعة الديانات – في العالم الشرقي كان لها دور وتأثير في المجتمعات الإسلامية ، وقد عملوا على توطيد مكانتهم بطرق مختلفة ، ومن بين تلك الطرق ترابطهم بالأوروبيين في المجال الاقتصادي ، مما زاد من نفوذهم وثرائهم من جانب ، ونقلهم أفكار وعادات الغرب إلى بلاد المشرق من جانب آخر.

وإذا كان هذا النص عاما في جميع اليهود والمسيحيين ، ويدخل فيهم المستشرقون دخولا أوليا ؛ إذ يمثلون جزءا من تلك الأقليات ؛ لكونهم قابعين في بلاد المشرق ، حيث الربط بينهم وبين الأوروبيين في المجال الاقتصادي لا سيما التجاري منه ، فإن مفكرا كإدوارد سعيد قد قطع بذلك من جهة المستشرقين ، ونص عليه نصا قاطعا ، حيث يقول : (إذا نظرنا إلى مجال الاستشراق وجدنا أن له هوية تراكمية وجماعية ، وهي تتسم بقوة

---

[١]) المجتمع الإسلامي والغرب ، هاملتون جب ، ج١ ، ص٥٧ ، ٥٨ .



جبارة بسبب ارتباطها بالعلوم التقليدية (كالدراسات اليونانية واللاتينية المقدسة ، وفقه اللغة) وبالمؤسسات (كالحكومات ، والشركات الأجنبية والجمعيات الجغرافية ، والجامعات ...)([1]).

ففحوى النص ومنطوقه قاطعان بهذه العلاقة بين الاستشراق والمستشرقين من جانب ، وتلك المؤسسات الأوروبية – على عمومها – من جانب آخر ، وإذا كان قد تم وصف تلك العلاقة بكونها (قوة جبارة) ، فإن هذا مما يدل عل تكرار وقوعها وتعدد نشاطها واثيرها ، وكونها مظهرا لهذا الدافع الاقتصادي لدى اتلمستشرقين القائمين بتلك العلاقة.

وإذا كانت تلك المؤسسات جاءت على عمومها في النص السابق ، فلا غرو أن تدخل فيها تلك المؤسسات التجارية ، وذلك لأن المؤسسات الحكومية – والمشار إليها في النص – تندرج تحتها تلك المؤسسات التجارية الموجودة في بلاد الغرب بلا شك.

هذا ، ومن خلال عموم نص المستشرق (هاملتون جب) ، ومقابلته بخصوص نص المفكر (إدوارد سعيد) ، يمكن اسنتتاج ما يلي :

أ- أنه لا يستبعد إطلاقا أن يكون المستشرقون داخلين ضمنيا ضمن هذا العموم الذي أشار إليه (هاملتون جب) في نصه سالف الذكر ؛ لاتحاد ديانتهم مع ديانة من أشار إليهم النص من اليهود والمسيحيين.

ب- إذا كان نص (هاملتون جب) قد قطع بأن المجتمعات المسيحية واليهودية المختلفة قد عملت على نقل أفكار العالم الغربي ونشرها في الشرق ، فهذا قطاع باتحاد هدفهم وعملهم مع هدف وعمل المستشرقين ، مما يؤكد دخولهم حتى ولو لم ينص عليهم .

---

[1]) الاستشراق ، إدوارد سعيد ، ص٣١٨ ، ٣١٩ .



ج- يأتي نص المفكر (إدوارد سعيد) ليقرر تلك العلاقة بين الاستشراق والمؤسسات الحكومية ، ولا ريب في أنه يدخل فيها تلك المؤسسات التجارية التي تتبع تلك الحكومات ، والتي يتم التنسيق بينها (أي الحكومات) وبين المستشرقين ، كما سبق تقريره.

د- إذا كان قد تقرر – من خلال نص إدوارد سعيد – إنه ثمة علاقة بين المؤسسات الحكومية التجارية والمستشرقين ، فلا ريب في أن تلك العلاقة المتوقع منها تكرارها وتعدد نشاطها ، مما يؤكد أنه مظهر للدافع الاقتصادي للاستشراق والمستشرقين .

المبحث الرابع : آثار الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ،

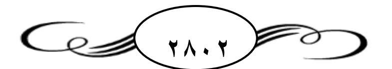
ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول :

آثار تتعلق بالإنتاج والاقتصاد الإسلامي من حيث التدهور وعدمه.

المطلب الثاني :

آثار تتعلق بالبعد غير العلمي واللاخلاقي.



المطلب الأول : **آثار تتعلق بالإنتاج والاقتصاد الإسلامي من حيث التدهور وعدمه**.

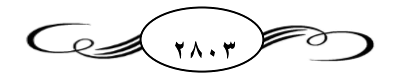
ترك الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق ومن ثم المستشرقين آثارا سلبية مقيتة على الاقتصاد الإسلامي في كثر مما يتعلق به ، حيث أثر عليه سلبا في مجال الإنتاج ودفع عجلة المنتجات الإسلامية ، حيث عرقلتها والتأثير عليها ، فضلا عن تقليل التفكير الاقتصادي الإسلامي في زيادة هذا الإنتاج ، حيث تعلق الفكر بعجلة الاقتصاد الغربي – جراء هذا الاستشراق – آنذاك .

وتتمحور هذه الآثار حول ما يلي :

١- إلغاء التفكير الشرقي في الانتاج بعد الاعتماد على الانتاج الغربي .
٢- تدهور الاقتصاد الإسلامي .
٣- وقوع الاقتصاد الإسلامي في التبعية الغربية .
وتفصيل تلك الأمور على النحو التالي بفضل الله تعالى ومشيئته :

أولا : إلغاء التفكير الشرقي في الانتاج بعد الاعتماد على الانتاج الغربي :

كان من الآثار البغيضة التي خلفها الدافع الاقتصادي للاستشراق ، أن تمت محولات مستمية لإلغاء التفكير في عملية الإنتاج الشرقي ، والاعتماد على تلك المنتجات الشرقية ، مستعوضة بتلك المنتجات الغربية آنذاك .



وخطورة هذا الأثر واضحة بلا شك ؛ إذ إن أولى درجات العمل المنشود هو التفكير فيه والعزم على تحقيقه ، ولو أن ثمة إلغاء لهذا التفكير ما تمت هذا العمل أصلا.

فيلاحظ أن الدافع الاقتصادي للاستشراق ، ومن ثم محاولات الاعتماد على الغرب (أدى إلى الاعتماد دائما على المستورد الغربي ، دون التفكير في استغلال الموارد والتصنيع المحلي)([١]).

ولاشك أن التفكير في الشيء والعزم على القيام به هو أول خطوة لتحقيقه ، فإذا تم للاستشراق هذه النقطة ، وراحت العقلية العربية الشرقية الإسلامية تبحث عن مصنعات لها خارج حدودها ، بعد أن أراحت عقليتها من التفكير في ذلك ، فلا ريب في أن هذا أثرا قويا سيئا من آثار هذا الدافع الاستشراقي .

ثانيا : – تدهور الاقتصاد الإسلامي :

كان من الطبيعي – ونتيجة حتمية له – أن يبدأ الاقتصاد الإسلامي في التدهور ؛ جراء هذا الدافع الاقتصادي للاستشراق والمستشرقين ، متمثلا ذلك في دراساتهم ومحاولاتهم عرقلة تقدم هذا الاقتصاد.

وقد قامت الأدلة الكثيرة على ذلك ، فـ (إن تدهور الاقتصاد الإسلامي في الماضي لم يكن سببه خلل أو ضعف في النظام الاتقتصاد الإسلامي ،

---

[١]) الاستشراق – أهدافه ووسائله – دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون ، د / محمد فتح الله الزيادي ، ص٤٥.



ولكنه يعود إلى الحرب الالقتصادية التي شنها الغرب على العالم الإسلامي ، الذي كان لموقعه الجغرافي فوائد اقتصادية عظيمة)([1]).

ومعنى ذلك أن الاقتصاد الإسلامي يمتلك ذاتية الاحتفاظ والبقاء والدوام والمرونة والتقدم ....الخ ، لو لا تلك المكائد التي حيكت حوله ، ومن ورائها وعلى رأسها دافع المستشرقين الاقتصادي.

وقد أقر بهذا المستشرق (هاملتون جب) ، وقرر أن تحويل التجارة – والذي كان ورائه الغرب – سببا في هذا التدهور للاقتصاد الإسلامي ؛ إذ يرى (أن التدهور الاقتصادي العام في الشرق الأدنى الذي سببته الحروب والكوارث الطبيعية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، قد زاد من حدته تحول معظم التجارة الهندية إلى الطريق البحري الأفريقي في القرن السادس عشر)([2]).

ومعنى هذا أن الغرب قد أخذ على عاتقه تدهور الاقتصاد الشرقي عامة والإسلامي منه خاصة نظريا وتطبيقيا ، فأما النظري منه هي تلك الدراسات الاقتصادية التي قامت حول الاقتصدا الشرقي ، وأما التطبيقي العملي منه فمنها تحويل تلك التجارة ، مما سبب تدهورا وكسادا واضحين في الاقتصاد الشرقي لا سيما الإسلامي منه .

---

[1]) آثار الفكر الاستشراقي في الفكر الإسلامي ، د / محمد خليفة حسن ، ص٨٠ .

[2]) المجتمع الإسلامي والغرب ، هاملتون جب ، ج١ ، ص٤١٠ ، ٤١١ . بتصرف يسير جدا.



وكانت النتيجة الحتمية لهذه الحرب الشعواء على الاقتصاد الإسلامي ، أنه أدى إلى (تدهور العالم الإسلامي في ثروته إلى هاوية سحيقة ، وأصبح مصير مدنيته وحضارته – إلى حد كبير – في أيدي القوى النصرانية)([1]).

إن تلك القوى النصرانية الغربية قد جندت المستشرقين كما هو مقرر ومعلوم ، ومن هنا يعلم مدى أثر المستشرقين في هذا العمل ، ومدى تأثيرهم به على الاقتصاد الإسلامي في ذلك الوقت.

ثالثا : وقوع الاقتصاد الإسلامي في التبعية الغربية :

إذا كان ثمة إلغاء للتفكير في الإنتاج الشرقي ، وإذا كان هناك تدهورا متعلقا به ، فإنه سينتج عن ذلك وقوع هذا الاقتصاد في التبعية الغربية ، تلك التي تمت الإشارة إليها في مقومات الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين.

فقد (استمر هذا التدهور للمسلمين منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وحتى وقتنا الحالي ، ونتج عنه التبعية الكاملة للغرب في المجال الاقتصادي ، ومن مظاهر هذه التبعية تغلغل النظم الاقتصادية الأوروبية إلى أن تم نشر الفكر الاقتصادي الغربي في القرن العشرين في بلاد المسلمين من خلال فرض الرأسمالية والشيوعية على البلاد إسلامية)([2]).

---

[1]) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، د / عبد اللطيف الطيباوي ، ص٢٢ .نقلا عن مرجع أجنبي .

[2]) آثار الفكر الاستشراقي على المجتمعات الإسلامية ، د / محمد خليفة حسن ، ص٨١ .



ولا شك أن تغلغل النظم الاقتصادية الأوروبية – كما هو مذكور في النص – ليس هو المظهر الوحيد لهذا الأثر (أعني التبعية) ، بل هناك أمور كثيرة تتعلق بذلك ، ليس مجال ذكرها في تلك الورقات .

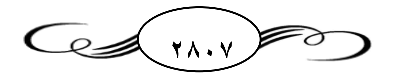
ومن تلك المظاهر الناتجة عن هذا الأثر ، هو أنه (قد بقى التبادل التجاري للسلع المحلية قائما ، ونشأت المجتمعات الرأسمالية الثرية في كل المدن الرئيسية)([١]).

وكون تلك المجتمعات الرأسمالية في المدن الرئيسية ، وليست في المدن الصغيرة فقط ، فإن هذا صورة أخرى لتلك التبعية ؛ إذ بقائها في المدن الكبرى وتبعية المدن الصغرى لها ، يوحي بتلك التبعية أيضا ، هذا من ناحية ، ولكون تأثير المدن الرئيسية الكبرى في غيرها من ناحية أخرى.

والأدهى من ذلك والأمر هو تفتيت الوحدة الاقتصادية الإسلامية ؛ جراء تلك التبعية ، والتي جاءت أثرا لهذا الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين .

فإنه إذا كان قد تقرر سابقا أن محاولات استقطاب المسلمين للنظامين الرأسمالي والاشتراكي يعد مقوما لقيام الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين ، فإنه قد نتج عن ذلك انقسام المسلمين أنفسهم تبعا لهذه التبعية ، فقد (أدت التبعية لنظامين اقتصاديين متناقضين إلى تفتيت وحدة العالم الإسلامي ، فانقطعت العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلاد الإسلامية ، وأصبحت

[١]) المجتمع الإسلامي والغرب ، هاملتون جب ، ص٥١ .



كل مجموعة من هذه البلاد تابعة لبلدان النظام الاقتصادي الذي تتبعه ، وانقسم المسلمون بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي)([1]).

وهذا كله يؤكد أن مظاهر تلك التبعية ، والتي هي أثر للدافع الاقتصادي لدى المستشرقين ، ليست مظهرا واحدا بعينه ، بل هي مظاهر كثيرة ، جاءت تبعا لأثر نتج عن ذلك الدافع الاقتصادي للاستشراق والمستشرقين ، ألا وهو وقوع المسلمين في التبعية الغربية في مجال النظام الاقتصادي.

---

[1]) آثار الفكر الاستشراقي على المجتمعات الإسلامية ، د / محمد خليفة حسن ، مرجع سابق ، ص٨٢ .



المطلب الثاني : **آثار تتعلق بالبعد غير العلمي واللاأخلاقي**.

لم تظل آثار الدافع الاقتصادي للاستشراق والمستشرقين قابعة في بوتقة كل ما يتعلق بالإنتاج وعدمه وتدهور هذا الاقتصاد والوقوع في تلك التبعية الغربية فقط ، بل تعدت تلك الآثار هذا كله لتتعلق بآثار منوطة بالمنهج العلمي والوقع فيما يخالفه ، فضلا عن تلبث المستشرقين أنفسهم في أمور غير أخلاقية على الإطلاق.

وتتلخص تلك الآثار المتعلقة بالمنهج العلمي والأخلاقي – فيما نتج عن الدافع الاقتصادي للمستشرقين – فيما يلي :

١- انتفاء المنهجية العلمية وتقرير شوائب تتعلق به.
٢- تقرير البعد اللاأخلاقي في عمل المستشرقين وتنفاء النزاهة والصدق.

وتفصيل ذلك – بفضل الله تعالى وحده – على النحو التالي :

أولا : انتفاء المنهجية العلمية وتقرير شوائب تتعلق به :

لا ريب إطلاق في أن المستشرقين حينما يندفعون – في دراسة الشرق – بدوافع غير البحث العلمي – وهو الدافع المدعى علنا - ، فإن في ذلك دليلا على انتفاء المنهج العلمي ونزاهته ، والتلبث بغيره مما ينافي تلك المنهجية المنشودة.

وهذا ينطبق بطبيعة الحال على الدافع الاقتصادي بلا شك ، فإنه قد أخرج المستشرقين من دائرة النزاهة العلمية إلى ضدها تماما ؛ حيث التكسب والتربح وزيادة المال ...الخ ، وهو ما ينافي المنهج العلمي في أصالته ونزاهته قطعا.



ولهذا كان لا بد من التقيد بـ (ميدان (المنهج) و (ما قبل المنهج)؛ لأن بديهية الفطرة في الإنسان تقضي بأن الأهواء مرفوضة في كل عمل يستحق أن يوصف بأنه عمل شريف أو عمل علمي .... والاستشراق من فرع رأسه إلى أخمص قدميه غارق في الأهواء . والثقافة الأوروبية والحضارة الأوروبية تستقبل الأهواء بلا نكير ولا أنفه ، بل هي تسوغ استعمال رذيلة الأهواء في الدنيا وفي الناس بلا حرج ؛ لأنها حضارة قائمة على السلب ونهب الأمم وإخضاعها بكل وسيلة لسلطانها المتحضر)([1]).

ودلالة النص قاطعة قطعا جازما بما يرنو الباحث لإثباته ؛ حيث ربط بين الأهواء من جانب ، وتأثيره على المنهج من جانب آخر ، ثم السلب والنهب (الدافع الاقتصادي) من جانب ثالث .

وهذا أمر بديهي لا مراء فيه ، فلا يجتمع البحث العلمي بنزاهته ومنهجيته مع شوائب أخرى تعوق عمله ، ومنها التعلق بالمال ووزيادته والتربح من ورائه.

إنه (لا ريب أن النزعة الإمبراطورية التوسعية كانت تستحوذ على الحكومات الغربية ؛ حتى جندت لها أعلى الطاقات الفكرية ، ودفعت بها خارج بلادها تستغل الرهبنة والاستشراق لخدمة مصالحها الاستعمارية الواسعة ، ومثل هذه النزعة أو الروح السائدة ازدراء بالعلم وأهله ، أكثر منه كسب للمنافع القومية والإقليمية التي حرص عليها الغربيون)([2]).

---

[1]) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، العلامة محمود شاكر ، ص٧٨ .

[2]) مستشرقون سياسيون جامعيون ، د / نذير حمدان ، ص٦٨ .



والسؤال هنا : ما الذي أدى إلى هذا الازدراء للعلم وأهله ؟ أليس عدم التقيد بمنهجيته ونزاهته المتعلقة به ؟ ألم يكن التوسع الأوروبي مغزى للدول الغربية فجندت له الاستشراق فأخرجه عن تلك المنهجية العلمية ؟.

إن تلك النزعة المتعلقة بالدوافع غير العلمية – ومنها الدافع الاقتصادي بلا شك – أحطت كثيرا من المستشرقين ، وأخرجتهم من دائرة البحث العلمي إلى نقيضه ، بل جعلت غيرهم يوجهون إليهم سهام النقض ومعاول الهدم.

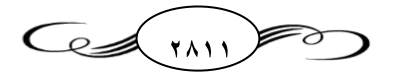
هذا ، وإذا كان غير المنهج العلمي بل والتقيد بالأهواء هو الأثر الذي نتج عن تلبس المستشرقين بالدافع الاقتصادي ، فإنه أثر واضح من آثار هذا الدافع بلا شك.

ثانيا : تقرير البعد اللاأخلاقي في عمل المستشرقين وتنفاء النزاهة والصدق:

شاب المستشرقين في تعلقهم بالدافع الاقتصادي أمور غير أخلاقية تماما ، أبعدتهم عن الصدق والأمانة والنزاهة والترفع عن بعض الدنايا ، وهذا كله أثر واضح لهذا الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين.

إن سرقة المخطوطات والاتجار فيها ، وسرقة الآثار والتربح من ورائها ...الخ أعمال غير أخلاقية قطعا ، وهل تجتمع السرقة والخيانة مع الأمانة ؟ اللهم لا .

ولذلك ف(هل نتصور مستشرقا يقدر أن يلتزم بالأخلاقية وهو يشارك في عمليات تخطيطية لاستعمار بلد أو فكر إسلامي؟ وهل يغني جهده الفكري ودأبه البحثي – مهما ارتقى في سلم الدقة والعمق – إذا كان يغني



الاتجاه الاستعماري بمعلوماته الجغرافية من الخرائط الطوبغرافية والمعارف الإنسانية والاجتماعية ؟)([1]).

وما يقال في الاستعمار وتعلقه بالاستشراق ، يقال أيضا في الدافع الاقتصادي سواء بسواء ؛ وذلك لأمور ، ومنها :

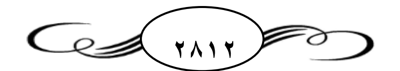
أ- قوة الترابط والعلاقة بين الاستعمار وتمهيد الأرض له من قبل المستشرقين من جانب ، والاستحواذ على الاقتصاد المتعلق بالأرض التي يراد احتلالها ، ففي كل من الأمرين يمهد المستشرقون للاستعمار ويعملون على إضعاف اقتصاد أهله.

ب- أن كلا منهما يخرج صاحبه عن المنهج العلمي ونزاهته تماما ، ولا يجتمع استعمار وتخطيط له واستحواذ على اقتصاد والتربح من خلاله ، مع المنهج العلمي الرصين إطلاقا .

ج- إضعاف الاقتصاد الإسلامي – قبل الاحتلال – له علاقة وثيقة بالاستعمار وما بعده ، فإذا أراد استعمار احتلال أرض عمل على إضعاف اقتصادها بلا شك .

ونتيجة ذلك كله (أن انسلاخ المستشرق السياسي من أخلاقية الباحث وأخلاقية الإنسان ، لا تعوضه ترقيات رسمية مادية أو معنوية ، ليس في

[1]) مستشرقون سياسيون جامعيون ،نفس المرجع ، ص٦ .

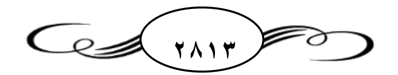


مجال الحقيقة الفكرية والأخلاقية فحسب ، وإنما لدى مواطنيه وذويه أيضا بعد انحسار الاستعمار أو ضعفه)([1]).

وليست نظرة الازدراء من مواطني المسترقين هذه – بعد تلبسهم بذلك – إلا لأن الفطرة السليمة تتأبي على ذلك ، ولا تقبله بحال من الأحوال.

هذا ، وحينما ينتج عن الدافع الاقتصادي والتربح من ورائه وجناية المال نتيجة عنه ...الخ عدم أخلاقية المستشرقين ، فإن هذا يعد أثرا لهذا الدافع الاقتصادي للاستشراق والمستشرقين بلا ريب.

[1]) نفس المرجع ونفس الصفحة .



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ...

فالبرغم من أن كتابات المستشرقين عن الاقتصاد الإسلامي جاءت متنوعة متعددة ، ما بين إثارة شبهات حوله ، ودراسات حول ماهيته ونظمه ومكوناته ، وتراثه وطرائق تنوعه ....الخ ، لكن يبقى الدافع الاقتصادي التطبيقي العملي الذي انتهجه كثير من المستشرقين ؛ تربحا وتكسبا وجناية للمال وسرقة للمخطوطات والآثار الشرقية – علامة فارقة ، وفيصلا واضحا في تاريخ المنهجية العلمية المنشودة في الرؤية الاستشراقية لهذا الدافع ، والذي أخرجها من تلك المنهجية إلى أضدادها من الهوى والتحيز والبحث عن المال والتربح من ورائه .....الخ.

لقد لعبت الأهواء والبحث عن المال والتربح وأشكال ومظاهر ذلك بالمستشرقين ، وطمست بصائرهم عن الحق والتجرد له ، وأوقعهم في أعمال غير مهنية ولا أخلاقية البتة ، وبات المنهج العلمي – جراء هذا الدافع الاقتصادي – ريشة في مهب الريح ، ونقطة في بحر ، وحبة رمل في صحراء عاتية ، فضاعت معالم تلك المنهجية ، وافتقدت شاراتها ، وادلهم طريقها ، ونتج عن ذلك من الآثار والنهب والسرقة والتربح وضياع المهنية ما لا يعلمه إلا الله تعالى وحده.،

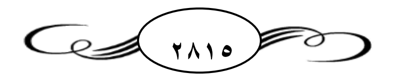


إن ما انتهجه كثير من المستشرقين حول هذا الدافع الاقتصادي أوقف بعض الباحثين إلى خطورته ، وخطورة آثاره ، إذ تعددت مواطن السرقة ومعالم النهب وشارات التربح ، إلى تفرقة واضحة وتفتيت ظاهر في تلك الوحدة الإسلامية الاقتصادية ، فراحت بعض بلدان تنتمي للإسلام تجري وراء رأسمالية قد أخذت عليها المآخذ ، أو اشتراكية تنافت مع الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، وتركت ورائها منهجا صحيحا قائما على نظام اقتصادي إسلامي ماتع ، وافق الفطرة السليمة ، واتفق مع العقل الراشد ، واتحد مع الرؤى المنضبطة ، وتوافق مع التصورات الصحيحة ؛ وذلك كله لأنه نظام أنزله من يعلم ما خلق وهو اللطيف الخبير.

والأعجب من هذا ، أن هناك من بعض المسلمين وقف يتصدى لتلك الهجمات التي غار بها المستشرقون على الاقتصاد الإسلامي ، واجتنوا من ورائه وربحوا الكثير ، دون أن يتعدى هذه البوتقة إلى حالة أخرى ، ألا وهي حالة الهجوم ، وبيان فساد النظامين الغربيين الاقتصاديين (الرأسمالية والاشتراكية) ، وكأن الإسلام في قفص الاتهام فقط ، وتلك حالة مزرية ، ينبغي أن ينبو عنها المدافعون عن هذا الدين القويم.

وفي الختام أسال الله تعالى أن أكون قد بينت مظاهر ومقومات وخطورة هذا الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين ، فضلا عن تلك الآثار المترتبة على ذلك .

والحمد لله أولا وآخر ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



النتائج

بعد تلك الدراسة التي درات حول الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين ، متعلقة بمقومات ومظاهر وأنواع وآثار هذا الدافع ، يمكن بفضل الله تعالى للباحث أن يتوصل إلى النتائج التالية :

١- أظهرت الدراسة - بما لا يدع مجالا للشك — أن الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين لم يقف عند نقطة التنظير والبحث والدراسة فقط ، بل تعدى ذلك إلى مرحلة التطبيق والتنفيذ ، حيث التربح والتكسب وجناية المال ....الخ ، ولم يكن واقفا عند دراسة الاقتصاد الإسلامي في كتب الاستشراق فقط.

٢- يظهر من خلال ما سبق قوة تلك العلاقة بين كل من الاستشراق والاستعمار ، وأن كلا منهما يرنو إلى إضعاف وتدهور الاقتصاد الإسلامي بكل صوره وأشكاله ، وأن ذلك التدهور للاقتصاد الإسلامي لم يأل هؤلاء جهدا في تحقيقه بكل ما يملكون من أسباب ظاهرة وباطنة .

٣- اتضح من تلك الدراسة أيضا أن الدافع الاقتصادي لدى المستشرقين أخذ صورا متعددة ، وأنماطا مختلفة ، وأنواعا متباينة ، فلم يأخذ نوعا واحدة ولا صورة بعينها ، بل أخذ نوعا فرديا وآخر جماعيا ، فضلا عن تنوع موارد الاقتصاد نفسها ، ما بين مجال زراعي وآخر تجاري وثالث صناعي ، مما ينم عن حالة شاملة لتلك الأنواع وهذه المجالات من جانب ، ونشاط المستشرقين وعملهم الدؤوب فيها فيها جميعا من جانب آخر.

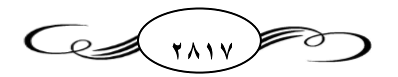


٤- بينت الدراسة أيضا أن الدافع الاقتصادي – حيث المال والعمل على نمائه والتربح من ورائه – كل هذا لا يتفق مع منهجية البحث العلمي في رصانته وأصالته البتة ، فكل منهما ضدان لا يجتمعان ، ومتنافران لا يلتقيان ، وأن التلبث بأحدهما يدفع الآخر ولابد ، ومن هنا يتقرر أن كل مستشرق عمل بهذا الدافع الاقتصادي قد حكم على نفسه بعدم المنهجية وانتفاء البحث العلمي المجرد النزيه.

٥- يتضح جليا أيضا أن الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين ليس وليد اليوم ولا حديث العهد به فقط ، بل إنه يضرب جذورا في القدم ، وأعماقا في التاريخ ، ويظهر ذلك منذ اتصال أوربا بالإسلام قديما ، حيث العلاقات التجارية أنذاك .

٦- إذا كان المستشرقون قد تطرقوا – في كتاباتهم وبحوثهم ورؤاهم وتصوراتهم – إلى المجال الزراعي والصناعي ، وعلاقتهما بالنظام الاقتصادي ، إلا أنه يبقى المجال التجاري وتعلق المستشرقين به وانشغالهم بتحقيقه أوسعها انتشارا ، وأكثرها تحقيقا ، وأشدها ظهورا ، وأشملها تطبيقا ؛ حيث : فتح أسواق للتجارة الغربية ، واقتناص المواد الأولية من البلدان الشرقية ، وسرقة المخطوطات والآثار والتجارة فيهما ...الخ ، وهو مالم يكن ظاهرا بنفس الدرجة في المجالين الزراعي والصناعي.

٧- قررت الدراسة كذلك أن الدافع الاقتصادي للاستشراق والمستشرقين لم ينقطع ، ولم يكن أيضا حالة وانتهت ، بل ما زال مستمرا ، وآثاره ما زالت متكررة ، وخطورته ما زالت متحققة ، ويتضح هذا بشكل أكثر فيما يسمى بـ(ظهور الخبير السياسى والاقتصادى والعسكرى والدينى فى شؤون الشرق



الأوسط وشؤون العالم الإسلام) ، كما ألمحت بعض النصوص في ثنايا تلك الدراسة ، وتلك المسميات دالة على المستشرقين باطنا ، وما زالت قائمة إلى الآن ، مما يدل على أن هذا الدافع لم ينقطع البتة.

٨- إن ثلة المستشرقين الذي تحقق فيهم الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق لم يكونوا جميعا على درجة واحدة في هذا الدافع : قوة وضعفا ، مكسبا وخسارة ، وضوحا وخفاءا ، قربا وبعدا منه ، وأعني بذلك أنه بينما فيهم من ظهر بدرجة واضحة فجة بلا تورع ولا استحياء ، نجد أن منهم من فعل ذلك على استحياء وخيفة ، وبينما بعضهم باشر بنفسه تجارة المخطوطات وغيرها ، نجد أن البعض الآخر قد اكتفى بكون الاستشراق مهنة ووظيفة تدر عليه ربحا ، وهذه كلها ليست على درجة واحدة بلا شك.

التوصيات

١- ينبغي التركيز بشكل أوسع على دراسة الدافع الاقتصادي لدى الاستشراق والمستشرقين ؛ إذ إنه يمثل ضربة قاصمة لمنهجيتهم المنحرفة في البحث ، ومن خلاله يتضح مدى تمسك بعضهم بآداب البحث العلمي الصحيح من غيره.

٢- إن مما ينبغي أيضا هو مجاراة المستشرقين في نفس ما ينتهجونه تجاه الإسلام وأهله ، وأعني بذلك أنهم يسلكون سبلا كثيرا في هذا المضمار ، ومنها أنهم يعقدون المؤتمرات المتعددة والمتكررة ، فينبغي إقامة مؤتمرات إسلامية عالمية لبيان : قوة ونشاط وحيوية الاقتصاد الإسلامي ، ومكامن القوة فيه ، وآثار التمسك به ، ومظاهر تفوقه على النظم الغربية الأخرى ....الخ ، وهذا سبيل عظم بلا شك في مجابهته تلك المكائد والدسائس التي تحاك ضد النظام الاقتصادي الإسلامي.

٣- إن تلك الموسوعات التي قام بها المستشرقون في دراساتهم حول الإسلام وأهله ، ليس المسلمون بأقل شأنها منهم في هذا المضمار ، فمما تجدر الإشارة إليه هنا هو ضرورة – وعلى عجل – قيام موسوعات إسلامية ضخمة ، تشمل كل الموضوعات الإسلامية ، لا سيما الاقتصادية منها ، وهذه الأخيرة تشمل كل ما يتعلق بالاقتصاد الإسلامي من حيث : تعريفه ، نظمه ، وسائله ، موارده ، سبل قوته ، مظاهر تفوقه ، علاقته بالنظم الأخرى ، إثارة الشبهات حوله ، مجابهة تلك الشبهات ، محولات ضعفه وتدهوره ، والرد على تلك المحاولات ، واجب المسلمين عامة



والعلماء والمفكرين والكتاب خاصة نحوه ، مما يمثل عواصم من قواصم كثيرة تحاك حول هذا النظام الإسلامي الفريد.

٤- إن التواصل بين مؤسسات ووزارات الدولة بأكملها أمر حميد يصب في صالح المسلمين ، وهنا ينبغي التواصل والترابط بين كل مؤسسات ووزارات الدولة من جانب ، والأزهر بجميع مؤسساته من جانب آخر ، لا سيما سفراء وأعضاء الدبلوماسية الخارجية ، حيث بتواصلهم مع الأزهر الميمون يمكنهم الوقوف على مكائد ودسائس الاستشراق وخوافيه بلا شك ، مما يمكنهم من التحرز والتحوط من ذلك ، سواء أكانوا في بلدهم المعمور مصر، أم في بلدان أخرى تنشط فيها حركة الاستشراق وتشتد.

٥- ومما ينبغي أيضا تزويد البعثات الدعوية ، والدعاة المبتعثين للخارج ، وسفراء الأزهر الميمون ، بكل المعلومات والدراسات والأبحاث التي تمكنهم من الوقوف بقوة على كل ما يتعلق بالاستشراق والمستشرقين ؛ حتى يمكنهم الانطلاق في الدعوة إلى الله تعالى بمعرفة كيفية صد العراقيل والمعوقات التي قد تكتنف طريق دعوتهم في تلك البلاد ، ومنها الاستشراق – وهو على رأسها – بلا شك.

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم – كتاب رب العالمين.

ثانيا: كتب المعاجم واللغة والموسوعات :

١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي . تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار . دار العلم للملايين . بيروت . ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م. الطبعة الرابعة .

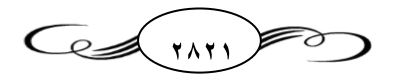
٢- لسان العرب . جمال الدين بن منظور . دار صادر . بيروت . ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م . الطبعة الثالثة .

٣- المحكم والمحيط الأعظم . أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م . الطبعة الأولى .

٤- مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي . تحقيق : أ / محمود خاطر . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت . ١٤١٥ – ١٩٩٥ . بدون رقم طبع .

٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس . المكتبة العلمية . بيروت . بدون تاريخ ولا رقم طبع .

٦- معجم اللغة العربية المعاصرة . د / أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون . مطبوعات عالم الكتب . ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م . الطبعة الأولى .



٧- معجم مقاييس اللغة . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار الفكر . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . بدون رقم الطبع.

٨- المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . دار الدعوة . مصر . بدون تارريخ ولا رقم طبع .

٩- الموسوعة العربية المعاصرة . مجموعة مؤلفين . مكتبة صيدا . بيروت . ١٤٣٤هـ - ٢٠٠٩م . الطبعة الثالثة .

ثالثا : كتب التراجم والأعلام :

١٠- تكملة معجم المؤلفين . وفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م) . محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف . دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م . الطبعة الأولى .

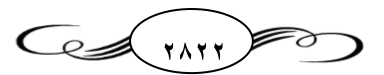
١١- معجم أسماء المستشرقين .يحيي مراد . بدون بيانات .

١٢- موسوعة المستشرقين . د / عبد الرحمن بدوي . دار العلم للملايين . بيروت .١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . الطبعة الثالثة .

١٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . مجموعة مؤلفين . إشراف : د / مانع بن حماد الجهني . مطبوعات دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع . الرياض ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م . الطبعة الثالثة .

رابعا : كتب الاستشراق وكتابات الغربيين :

١٤ - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية . د / محمد خليفة حسن . مطبوعات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . مصر ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . الطبعة الأولى .



١٥- أزمة الاستشراق المعاصر والحديث . أ . د / محمد خليفة حسن . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . المملكة العربية السعودية . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م . الطبعة الأولى .

١٦- الإسلام في نظر الغرب . فيليب حتى وآخرون . ترجمة : د / موسى إسحاق الحسيني . دار بيروت . بيروت ١٩٥٣م . بدون رقم طبع .

١٧- الاستشراق – أهدافه ووسائله – دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون . د / محمد فتح الله الزيادي . دار قتيبة . بدون اسم البلد . ١٤٢٦هـ - ١٩٩٨م . الطبعة الأولى .

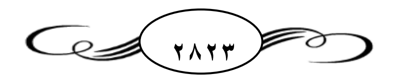
١٨- الاستشراق السياسي وتاريخه – الصراع على تفسير الشرق الأوسط . زكاري لوكمان . ترجمة : شريف يونس . دار الشروق . مصر . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م . الطبعة الأولى .

١٩- الاستشراق – المفاهيم الغربية للشرق . إدوارد سعيد . ترجمة : د / محمد العناني . مطبوعات دار رؤية . مصر . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م . الطبعة السادسة .

٢٠ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . أ . د / محمود زقزوق . دار المعارف . مصر . بدون تاريخ ولا رقم طبع .

٢١ - تراث الإسلام . جوزيف شاخت وآخرون . ترجمة : د / محمد زهير السمهوري وآخرون . عالم المعرفة . الكويت . ١٩٧٨م . بدون رقم طبع .

٢٢ - تغريب العالم . سيرج لاتوش . ترجمة : أ / خليل كلفت . مطبوعات دار العالم الثالث . بدون ذكر اسم البلد . ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م . الطبعة الأولى .



٢٣- خزائن الكتب العربية في الخافقين ، فيليب دي طرازي . لبنان . منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة . بدون تاريخ ولا رقم طبع .

٢٤- صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى . ريتشارد سوذرن . ترجمة : د / رضوان السيد . مطبوعات دار المدار الإسلامي . بيروت . ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م . الطبعة الثانية .

٢٥- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . أ. د / محمد البهي . مكتبة وهبة . مصر . بدون تاريخ .الطبعة الرابعة .

٢٦- مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون . د / نذير حمدان . مكتبة الصديق . المملكة العربية السعودية . ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م . الطبعة الأولى .

٢٧- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية — دراسة نقدية . د / عبد اللطيف الطيباوي . ترجمة : د / قاسم السامرائي . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود . المملكة العربية السعودية . ١٤١١هـ - ١٩٩١م . بدون رقم طبع .

٢٨- من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر . د / مازن صلاح مطبقاني . مكتبة ابن القيم . المدينة المنورة . بدون تاريخ ولا رقم طبع .

٢٩- وجهة الإسلام — نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي . هـ - ر . ا . جب ، ل . ماسينون . ترجمة أ / محمد عبد الهادي أبو ريدة . بدون بيانات .

خامسا : كتب عامة:

٣٠- أبجديات البحث في العلوم الشرعية - محاولة في التأصيل المنهجي . د / فريد الأنصاري . مطبعة النجاح الجديدة . الدار البيضاء . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . الطبعة الأولى .



٣١- الإسلام والحضارة العربية . محمد كرد علي . مؤسسة هنداوي . المملكة المتحدة ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .

٣٢- الإسلام والرأسمالية . مكسيم رودنسون . ترجمة : نزيه الحكيم . دار الطليعة . بيروت . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . الطبعة الرابعة .

٣٣- تغطية الإسلام . إدوارد سعيد . ترجمة : د / محمد العناني . مطبوعات رؤية للنشر والتوزيع . مصر ٢٠٠٨م . بدون تاريخ طبع .

٣٤- دراسات ما بعد الكولونيالية – المفاهيم الرئيسية . بيل أشكروفت . جاريث جريفت . هيلين تيفين . ترجمة : أحمد الروبي وآخرون . القاهرة ، المركز القومي للترجمة . مطبوعات الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية . ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٠م . الطبعة الأولى .

٣٥- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا . العلامة أ / محمود محمد شاكر . مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . بدون رقم طبع .

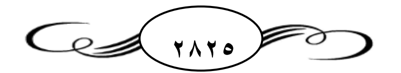
٣٦- الاقتصاد السياسي للتخلف وأسباب التخلف الأساسية . بول باران وايف لاكوست . دار الطليعة . بيروت . ١٩٧٨ م . الطبعة الثانية .

٣٧- مناهج البحث العلمي . د / عبد الرحمن بدوي . الكويت . وكالة المطبوعات ١٩٧٧م . الطبعة الثالثة .

٣٨- موسوعة اليهودي واليهودية . د / عبد الوهاب محمد المسيري . دار الشروق . مصر ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٣٩- نقد العقل الزنجي . أشيل مبيمبي . ترجمة / طواهري ميلود . ابن النديم للنشر والتوزيع/ دار الروافد الثقافية ناشرون . بيروت . الجزائر . ٢٠١٨ ، بدون رقم طبع .

سادسا : المجلات والدوريات :



٤٠ - الاستشراق – الأهداف والغايات . عبد العالي أحمامو ، مقال بمجلة : دراسات استشراقية . السنة الخامسة . العدد (١٤) . ١٤٣٩هـ - ربيع ٢٠١٨م .

٤١- الاستشراق (Orientalism) - شكلية المصطلح وتعدد الأيدولوجيا . حسن أحمد الهادي . مجلة دراسات استشراقية . العدد (٣٣) . ١٤٤٤هـ - شتاء ٢٠٢٣م .

٤٢- الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر . أ . د / عبد الأمير الأعسم . مجلة الاستشراق . العدد(١) . كانون الأول . ١٩٨٧ م .

٤٣- الاستشراق والمرايا المقعرة والمحدبة – الحقل العلمي وأضداده ، محمد البشير رازقي ، ص ٢٠٨ ، مجلة دراسات استشراقية ، العدد (٢٨) ١٤٣٣هـ - خريف ٢٠٢١م

٤٤- الاستعمار صانع التخلف – مناقشة تحليلية لكتاب : الاقتصاد السياسي والتنمية . لمؤلفه : بول . أ . باران . عرض : أحمد فؤاد بلبع . مجلة : الفكر المعاصر . . العدد (٣١) . سبتمبر ١٩٦٧ م .

٤٥- البريسترويكا وبعض قضايا الاستشراق السوفياتي . كيم .ج . ترجمة : د / عبد الكريم كامل . مجلة الاستشراق.

٤٦- تسريب التراث العربي المخطوط للمكتبات الأوربية والأمريكية ، أ / عبد الرحمن عبد الجبار . مجلة آفاق الثقافة والتراث . مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث . دبي . الإمارات . العدد (٣١) . السنة (٨) . رجب ١٤٢١ هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م .

٤٧- الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي . د / لخضر بن بو زيد ، مقال بمجلة : دراسات استشراقية . السنة الخامسة . العدد (١٥) . ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م .



٤٨- لم الاهتمام بالاستشراق . د / شكري النجار . مجلة الفكر العربي ، العدد ٣١ ، السنة (٥) . عام ١٩٨٣م .

٤٩- موقف المشارقة من المستشرقين . د : صبحي ناصر حسين . مجلة الاستشراق .العدد (١) . كانون الأول ١٩٨٧م .

٥٠- نقد الخطاب الاستشراقي وجدلية الشرق والغرب – إدوارد سعيد نموذجا . أحمد شمحيط . مجلة دراسات استشراقية . السنة الخامسة . العدد (١٤) . ١٤٣٩هـ - ربيع ٢٠١٨م .

٥١- مجلة الأدب الإسلامي . مجلدة (٤) . العدد (١٦) جمادى الأخرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

الفهرس

